15em Année No. 724

Lundi — 19 — 5 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٧٢٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٨ جمادي الآخرة سنة ١٣٦٦ — ١٩ مايو سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

من مذكراتى اليوميـــة

حلوان فى يوم الجمعة ٢٨ فبراير سنة ١٩٤٧ :

زوجة مدير الفندق يوغسلافية حسناء ، يحلو لها أن تلبس فى ساعات العمل القميص الرياضىّ الأبيض ، والبنطلون الرمادىّ الطويل ، وأن تسرح شعرها وتصففه على الأسلوب الغلامى الفاتن فتكون أشبه الناس بأبناء الذوات حتى فى النتوءين الجميلين المكوَّرين فى أعلى البطن وفى أسفل الظهر . ثم يعجبها ويعجب الناس أن تمشى البخترةَ فى الشرفة أو فى الردهة أو فى البهو فتوزع التحيات والبسمات على من تعرف ومن لا تعرف من نزلاء الفندق . فأينما تمر ينبثق منها على القعود الجمودِ أشعة من الصِّبا والفتوة ، فلا تجد غافياً إلا صحا ، ولا غافلا إلا وعى ، ولا مغضياً إلا فتح عينيه ، ولا ساكناً إلا رفع يديه ، ولا شيخاً إلا تمنى أن تقف لحظة على طلله فتسأله كيف أمسى وكيف أصبح!

كانت تصدُّ عامدةً عن الشباب وأشباه الشباب حتى لا تُفسر نظراتها وبسماتها بغير المجاملة التى تقتضيها طبيعة عملها من مواساة المريض ومؤانسة الوحيد ومباسطة المنقبض ؛ ولكنها كانت تؤثرنى بقسط موفور من هذه المجاملة الغزلة ، وتعلل هذا الإيثار بأننى مصرى وهى ترتاح لهذا الجنس ، وبأننى حيي وهى تطمئن إلى هذا الخلق .

أقبلت علىّ ضحى اليوم إقبال الربيع فى لونه وحسنه وعطره ، وكان المرض ساعتئذ قد أحرج صدرى وأفرغ صبرى وتركنى لا أتقارُّ من الضجر ، ولا أنفرج من الضيق . فلم تكد تحيي وتجلس حتى أحسست فى جسمى ذلك الخَدَر العجيب الذى يسكن الألم ويحرك النفس . ثم أخذت تساقطنى أعذب الحديث حتى جرى ذكر هذه الطغمة التى تنعم بخير مصر وتنكره ، وتنتشى برحيق النيل ثم تمكره ؛ فقالت لا تعجب أن يجحد هؤلاء اللئام فضل مصر ؛ فإن منفعتهم قائمة على أن تظل موسومة بالعجز موصومة بالجهالة ! لقد خالطت بحكم عملى أنماطاً شتى من الأجناس فلم أجد أنبل فطرة ولا أسجح خليقة ولا أندى راحة من المصرى الأصيل القح . أتذكر ذلك الرجل البذىء الذى كنت تجادله بالأمس فى مشكلة فلسطين ؟ إنه أغنى أرمل فى يهود الإسكندرية . ومع ذلك طمع يوم نزل الفندق أن ينام دون أن يأكل ؛ فلما أبينا عليه ذلك اتفق مع يهودية مصدورة تنيم فى إحدى الغرف المفروشة على أن تشترى غداءه وعشاءه بستين قرشاً ؛ ولها فوق البيعة أن تتمتع بشمس الفندق وحديقته وأثاثه وحفلاته ؛ وبذلك ينام هو بستين قرشاً ويأكل بعشرين ، وتنام هى بعشرين قرشاً وتأكل بستين ! فأين هذا الشحيح القذر وأمثاله منك وأنت لا تكاد تأكل خمس ما تنفقه ، أو من المصرى الآخر م . باشا ، وطعامه يأتيه كل يوم من داره فيفرقه ؟ إن المصرى سمح سهل ، لا يساوم فى (تعريفة) الأجرة حين تعرض عليه ، ولا يراجع قائمة الحساب يوم تقدم إليه . فقلت لها : من هنا ياسيدتى جاءته الخيبة ! فلو أنه كان بخيلا لاستدرُّوا بالتقبيل كفه ، ولو أنه كان فظاً لاستماحوا بالتدليل عطفه !

احمد حسن الزيات

هى الحـــــرية

للاستاذ محمود محمد شاكر

قالوا فى قديم الأمثال: «ليس المتعلق كالمتأنق»، فالرجل الذى أنعم الله عليـه بسعة العيش، وأرخى باله من هموم الحياة، مطيق أن يتأنى فيما يختار لنفسه متذوقاً ومتخففاً حتى يرضى، أما الذى قدر الله عليه رزقه فهو كالسهم فى الوتر المشدود ترمى به يد الحاجة إلى هدف يتخايل له أو يتحقق، وهو لو أراد لما أطاق إلا الذى فعـل لأنه مدفوع بالاضطرار. ورب سارق لم يجد من السرقة بداً لأنه دفع إليها بحاجة طبيعية لا يطيق أحد خلافها، وهو التعلق بالحياة والإبقاء على النفس، فهو يريد أن يطعم الغريزة التى تلهب أحشاءه بالجوع المهلك. ومهما تـكن روادع نفسه، ومهما تـكن قوتها، فهو منتهٍ إلى ساعة لا يجد عندها إلا أن يمد يده ليأخذ شيئاً يمسك عليه رمقاً يوشك أن يتبدد. وما مد الرجل يده، ولـكن الحيـاة هى التى مدتها، فهو خليق أن لا يكون عندئذ مسئولاً عمـا فعل. وكذلك الشأن فى أحداث كثيرة تـكون فى هذه الحياة الدنيا وفى هذا الناس، فإن المجتمع الإنسانى يعنف بأبنائه أحياناً ويعتسف بهم أضل المجاهل، لأنه لا يبالى بأن يكفل لأبنائه جميعاً حاجتهم التى لا غنى لأحد منهم عنها، ولأنه يغفل فى فورانه عن الطبائع الأولى التى تتطلب زادها من الحياة، والتى إذا فقدت هذا الزاد لم تبق على شىء، ولم ترع شيئاً، ولم ترعو عن شىء. وهـذا ضلال قديم فى نظام المجتمع الإنسانى، أراده الأنبياء بالإصـلاح، وأراده عقلاء المفـكرين بالتغيير، فأدركوا شيئاً ووقف بهم العجز عن كثير، لا من عجز فى هـدايتهم أو آرائهم، بل من عجز المجتمع عن أن يدرك سمو الأغراض التى رمى إليها الأنبياء والمفـكرون.

وفى عصرنا هـذا أمثال كثيرة على تغلغل الفساد والجهل والعسف وقلة المبالاة فى قلب المجتمع الإنسانى. أمثال يكون فيها الأفراد هدفاً منصوباً لاضطهاد جماعة الأمة أو الشعب، وأمثال تـكون فيها الأمة هدفاً لاضطهاد جماعة الدول أو الشعوب.

فليس فى الأمم اليوم أمة لا تتـداعى وتتنادى باسم الحرية: حرية الفرد، وحرية الفـكر، وحرية العقيـدة، وحرية التجارة إلى آخر هذا الحشد من الحريات، فهى بذلك تقرر جميعاً أن الحرية أكبر أغراضها، وهـذا طبيعى، لأن الحرية هى إحدى الطبائع المستقرة فى الإنسان الفرد، وهو يطلبها طلباً حثيثاً ملحاً، حتى ولو اضطر أن يستعبد نفسه لعمل يكدح فى سبيله طول حياته، ولـكن غايته من هذا الـكدح هى أن يتحرر من الـكدح وهذا إحدى عجائب الطبيعة البشرية.

نعم إن الحرية غاية الفرد التى يسمى إليها وهو وحيـد فى مشاعره وفى بعض وجوده، ولـكنه إذا صار فرداً من جماعة كان للجماعة سلطان على هذه الحرية وتصرفها، وهو شىء من حقها أيضاً. ولـكنها إذا أرادت أن تتعسف وتحرمه حريته فقد أساءت من حيث أرادت الإحسان، ولا تـكون الجماعـة رشيدة حتى تعرف أن الحرية حاجة طبيعية لا بد للفرد من الاستمتاع بها على وجه من الوجوه، فلابد إذن من أن تتيح أوسع ما يمكن من مجال تتصرف فيه الحرية على الأسلوب الذى يجعلها وافية بحاجته الطبيعية. ومن هنا يأتى الفرق بين نظام ونظام، فيـكون هذا بغيضاً مملولا، وذاك محبباً مألوفاً.

والأمم اليوم فى جماعة الدول بمنزلة الأفراد فى الجماعة، فلا بد للنظام الذى يرد أن يكون محبباً مألوفاً من أن يتيح للأمم جميعاً أوفر قسـط من الحرية يتيح لهـا أن تتصرف على الأسلوب الذى يجعل الحرية وافية بحاجتها الطبيعية، فإذا لم تفعـل ذلك جماعـة الدول انتقضت الأمم المسلوبة حريتها ورأت ذلك النظام بغيضاً مملولا، وكرهته وكرهت أهله، وصارت حرباً على الجور والعسف حتى تنال حريتها وتستمتع بها طبقاً لحاجتها الطبيعية. ومن أجل ذلك فيما زعموا، أنشأوا هيـئة الأمم المتحدة ومحكمة العدل الدولية.

ولـكن ماذا نرى من فعل جماعة الدول اليوم؟ إنها جميعاً قد أنـكرت بأسلوب يجمع بين الخسة والمكر والنفاق، أن تـكون فلسطين المضطهدة أمة عربيـة مستقلة حرة كما تشاء الفطرة الإنسانية، وأرادوها أن تـكون يهودية تفتح أبوابها لأنذال أمم الأرض، فهم يتدسسون إليها من كل حدب ومن كل فج، وهم

يزعمون أن يغزوها بأجساد يهودية تتساقط من الطائرات على أرضها ، وأرادوها أن تظل ساكنة هادئة مطيعة حتى تمتلىء جنباتها بالأنذال الذين يريدون أن يحولوها عن عربيتها إلى يهوديتهم .

وهذه الأمم التي كانت ، ولا تزال تتداعى وتتنادى باسم الحرية ، تسمع وتبصر ، فيسكت بعضها ويمالىء بعضها ، ويعاضد بعضها ، وتأذن جميعها للصهيونية الخبيثة أن تزرع بذورها الخبيثة فى الأرض الطيبة . فإذا قامت العرب تناديهم باسم الحرية حاوروها وداوروها وتنذلوا معها بكل أساليب الخسة والخداع والنفاق ، لأنهم يريدون أن لا تكون الحرية حقاً لهؤلاء العرب ، ويريدون أن تكون يهود عوناً لهم على سلب هذه الحرية من العرب ، ولن يبلغوا بإذن الله ما يريدون .

ثم هذه مصر والسودان ظلت أكثر من خمس وستين سنة وهى تتفزع من ثقل النير المضروب عليها ، فلما جاءت الساعة التى لا تطيق معها صبراً على ضروب الذل والهوان التى لقيتها من احتلال جيوش بريطانيا ، ومن احتلال شذاذ الآفاق الذين نزلوا أرضها فرتعوا فى نواحيها كما يرتع السوس فى الصوف فى الصيف ، كما يقولون ، ولما جاءت الساعة وطلبت الفطرة الإنسانية فى مصر حاجتها من الحرية التامة التى تتنادى بها تلك الأمم ، لاذت تلك الأمم بالصمت ولجأت إلى الخداع وتلفعت بالنفاق ، ويوشك أن تنكر على مصر والسودان حقوقهما فى هذه الحرية العامة التى ينبغى أن تستمتع بها البشرية كلها أمماً وأفراداً .

بل أعجب من ذلك أنها لجأت إلى أدنأ الأساليب يوم أرادت تفريق كلمة المصريين بأن يوقعوا الشقاق بين أهل دينين ظلا أجيالا يتعاشر أهلهما بالمعروف . فلما سقط فى أيديهم وأخفق سعيهم وحبطت أعمالهم ، انحازوا إلى أسلوب آخر هو تسليط جماعة من المرتزقة يقال لهم المراسلون الصحفيون ، يذيعون عنا كل خبيث بكل لسان لا يرعون حرمة ولا ذمة ولا عهداً . وحرضوا أيضاً أعوانهم من الأجانب الذين عاشوا فى مصر طويلا أو قليلا ، ليجلسوا فى المجالس ويذيعوا أن بلادنا وبلاد العرب جميعاً تسيء اليوم إلى الأجانب . ويعنون بذلك أنه منذ جلا الإنجليز عن جزء من مصر ، صار المصريون وحوشاً مفترسة تعتدى على الأجانب وتهينهم وتزدريهم قولا وفعلا . وكل ذلك يتناقله المراسلون الصحفيون من المرتزقة ، ويرسلونه ليذاع فى الصحف فى جنبات الأرض . ونحن نعلم علم اليقين أن هذا ليس من فعل المرتزقة أنفسهم ، بل هو من حث بعض الدول وإغرائها لهم بأن يقولوا هذا ويذيعوه ويتناقلوه بينهم وبين من يلقون .

هذا ، والأجانب أنفسهم قد عاشوا فى مصر مع بريطانيا خمساً وستين سنة ، وهم يمتهنون المصريين ويسيئون إليهم فى أنفسهم وأموالهم وأرضهم وعقائدهم ، حتى ألفوا هذا النوع من الغطرسة ، فلما جئنا اليوم نأباها عليهم كما نأباها بريطانيا وأمريكا وكل بلد قل شأنه أو ارتفع ، تصاخبوا علينا ، وراحوا يبسطون ألسنتهم وأفعالهم فينا وفى أخلاقنا وعاداتنا ، فإذا أراد أحدنا أن يكفكف من شر أحدهم ، انطلق يزداد صخباً وجلبة يستصرخ الدنيا كلها على هؤلاء المتوحشين الذين يسمون المصريين . ومع ذلك فمصر منذ عشر سنوات هى مصر اليوم لم يزد ما كان يلقاه الأجانب أمس فيها من رد وقاحتهم وجرأتهم علينا ، على الذى يلقونه اليوم من ذلك ، ولكنهم سمموا ألسنة هؤلاء المرتزقة تذيع عنا الأباطيل ، فانطلقوا يتصايحون علينا كأننا صادرنا أموالهم وأجليناهم عن بيوتهم ، ونصبنا لهم المشانق ، وأعملنا فيهم استئصال الشأفة كما كان يفعل طاغية ألمانيا باليهود ! !

ثم تأتى المرتزقة من المراسلين فتزعم أن بلادنا قد أصبحت متطرفة فى الحماسة للحرية ، وأن كلمة « مصر للمصريين » قد أصبحت أهم كلمة فى مصر ، ويقوم صعلوك منهم يقول : « ولذلك لا يعجب المرء كثيراً حينما يراهم (يعنى المصريين) قد ضلوا الطريق ! ولكننا نعجب حينما نتساءل : إلى متى سوف يستمرون فى اندفاعهم الذى لا يكبح جماحه من أجل الحرية ؟ » .

ونحن نأسف لأن الشعب المصرى لا يزال هادئاً صابراً على كل هذه الوقاحة التى يصبها علينا مرتزق بين ظهرانينا ، ونأسف لأن حكومتنا المصرية لا تزال هادئة صابرة ، بل مجاملة أشد المجاملة لهذا النوع من المرتزقة . وكان خليقاً بأية حكومة فى الدنيا — لا حكومة مصر — أن تعرف أولئك الذين أذاعوا أنباء غير صحيحة فى طائفة من المسائل التى تتعلق بمصر ، وأن تقول لهم إنكم كذبتم ، فإما أن تكفوا عن إذاعة هذه الأكاذيب ،

من أحاديث الإذاعة: (*)

بين الوحوش والبهـــائم !

للأســـتاذ على الطنطاوى

أيها المستمعون الكرام . أنتقل بكم هذه العشية إلى بقعة فى مصر ، جمعت فيها عجائب البلدان ، وغرائب الحيوان ، فوضع فيها البحر بحيتانه وتماسيحه ، وأفراسه وسباعه ، والبر بصحاريه وغاباته ، وأسوده وفهوده ، ووعوله وغزلانه ، وأقيمت بها الذرى المخضرة من لبنان تتفجر منها الينابيع وتتحدر السواقى ، وتغنى عليها البلابل والشحارير ، ومدت فيها القفار الجرداء من الجزيرة تسعى فيها المها وتتسابق العير ، والأحراج الملتفة من الهند تمشى فيها الفيلة ، والثلوج المبسوطة من القطب تخطو عليها الدببة . وعاشت فيها الحيات والثعابين إلى جنب الحمام والعصافير ، وصحبت فيها المعزى الذئابُ ، والثعالب الدجاجُ ، والسباع البشر . وفيها (الجبلاية) هذا الجبل المسحور ، تدخل منه إلى مسارب منحوتة فى الصخر ولا صخر ، وكهوف تتسلسل فيها العيون ولا عيون ، وقاعات فى باطن الأرض كأنما أعدت لتكون مخادع للحب أو محاريب للتأمل ، وكأنما هى أحلام شاعر قد تحققت ، وأمنية حالم قد تجسمت ، وطرق ظاهرة وخفية ، تنقلك فى خطوات من حر الصيف إلى برد الشتاء ، ومن جلوات الطبيعة فى أعراس الربيع ، إلى خلوات النفس فى نشوات الرؤى ، تلك هى (حديقة الحيوانات) .

وهى بعد هذا كله معرض للانسان ، ترى فيه طباعَه وأزياءَه ، وخلائقه ولغاتِه ، تسمع فيه أشتات الملاحظات ، وعجائب التعليقات ، تمشى مع الناس فتجد فيهم من يسير على هدى فيرى كل شىء ويقف عليه ، ويخرج وما فاته مشهد ، ولا ناله تعب ،

(*) كتب الحديث لمحطة الشرق الأدنى فسجلته فى مصر وأذاعته من يافا يومى (١٤) و (١٥) مايو .

وإما أن تغادروا بلادى . ثم ترفع كل الأدلة التى تفضح كذب هؤلاء الكذابين من المرتزقة إلى حكوماتهم ، وأن تبرئ ذمتها من دخيل لا يرعى أدباً ولا خلقاً ، ولا يعرف قدره ولا أقدار الناس !

إننا نطلب الحرية وسننالها ، وسنكون أحراراً فى بلادنا نسوسها بالسياسة التى نرتضيها لأنفسنا . ونحن لن نرضى لأنفسنا إلا الإنصاف ، ننصف أنفسنا ، وننصف من يعاشرنا من الأجانب . ولكن إذا ظن الأجانب أن هـذا الإنصاف الذى لهم ينبغى أن يكون على ما تعودوه منذ خمس وستين سنة ، من امتهان المصريين ومن الغطرسة عليهم ، ومن بقائهم طبقة واحدة ترى أنها أنبل منا ، وأشرف منا ، وأحسن عقلا منا ، وأولى بثروتنا منا ، وأحرى بالامتياز من كل مصرى يعيش على أرض مصر — فيومئذ سوف ننصفهم أيضاً ، ولكن بما نرضى به نحن غضبوا أو رضوا ، وضجوا أو سكتوا .

أما الدول التى تتنادى باسم الحرية ، والتى تنكر على مصر والسودان ، وعلى فلسطين ، وعلى العراق ، وعلى بلاد المغرب كلها — أن تكون أمماً حرة ، فلتفعل ما تشاء ، لأن هذه العرب لن تهادن إلا من يهادنها ، ولن تجامل إلا من يجاملها ، ولن تعاون إلا من يعاونها ، ولن تمد يدها إلا إلى من يمد لها يداً نقية من الغدر والفتك والنفاق .

الحرية حق طبيعى ، فنحن بالغوه ومدركوه شاءت الأمم أم أبت . والقوة الدافعة إلى طلب الحرية غريزة فطرية ، فنحن خاضعون لها حتى تحقق غايتها شاءت هذه الأمم أم أبت . والإنصاف طبيعة فينا ، فنحن سننصف أنفسنا وننصف من يعاشرنا ، رضى بذلك من رضى وكرهه من كره . وهذا كله شىء ليس لنا فيه خيار ، لأننا كدنا نموت ونريد أن نحيا . ونحن نتعلق فى حياتنا هذه كالجائع الشرف على الهلاك حين يتعلق بكسرة خبز ورشفة ماء ، هى الحرية ، وأما هم فيريدون أن يتأنقوا ويتنبلوا ويتفاصحوا باسم الحرية التى يريدون بها حريتهم هم مقرونة بالاعتداء على سواهم من الشعوب المتعلقة بالحرية أمثالنا نحن .

وسوف يأتى على الناس يوم وتظهر العرب ، وتعلم هذه الأمم كيف تكون الحرية ، ثم تقودها إلى هذه الحرية مرغمة كإيقاد الجمل

محمود محمد شاكر

ومن يدع اللوحات الدالة على الطرق ، والحراس المرشدين إلى المسالك ؟ ويسير على غير الطريق ، فيدور دوران السانية ، فيتعب نفسه ، ولا يبصر شيئاً ، ولا يخرج بفائدة ، فكأنه الرجل الضال الذى يترك هَدْىَ الأنبياء ، وحكمة الحكماء ، ويتبع عقله الأعوج وهواه ، فلا يسعد فى دنياه ، ولا يسلم فى أخراه ، وتمر على حراس الحيوانات فتجدهم قد فرقت بينهم الحظوظ إذ ساوت بينهم الوظيفة ، لحارس القرد والفيل والدب الأسمر ، يلعب حيوانه فيقف عليه الناس ، وتلقى عليه القروش ، فيتسلى ويغتنى ، وحارس الخنزير لا يلتفت إليه أحد .

زرت الحديقة ، ومشيت مع الناس أنظر كما ينظرون إلى أنواع الحيوان ، وأرى فيهم أمثالها ، ولكنها قد تلفعت بالثياب ، ففيهم أسد له بطشته وإن لم تكن له لبدته ، وفيهم ثعلب له حيلته وإن لم تكن له فروته ، ودب له غلظته ، وحمار له غفلته ، وطاووس له خَيْلته[1] وذئب له عدوته ، حتى وقفت على الأسد وهو يدور فى قفصه متألماً فى صمت ، صابراً فى استكبار ، كأنه النابغة من الناس حبسوه فى (قفص) من وظيفة صغيرة ، أو إفلاس شامل ، أو قرية منقطعة ، يلحظ الناس بطرف عينه يقول : آه ، لو كنت طليقاً فى البادية يا أيها الـ .. بشر ! ورأيت الحارس يخرجه إلى متنزَّهه : إلى القفص الضيق ، بعد القفر الواسع ، والفضاء الرحيب ، يذله بعصاه ، ويستطيل عليه بسوطه ، كما يستطيل الفرنسى اللئيم على المغربى الكريم ، ويذله بسيف العدوان وقوة السلطان ، وسمعته يزأر مقيداً ، كما يصيح المصلح فى أمة أفسدها التقاليد ، فلا يفزع من زئيره إلا الصبية الصغار ، ولو زأر عند العرين لخلع هذى القلوب وزلزلها حتى قفزت من حناجر أصحابها.

ووقفت على الفيل وقد تواضع ، حتى غرَّ الناس منه لينه فنسوا شدته ، وهان على أحدهم حتى أركبه صبيَّتَه ، وصرَّفه النيّال واتخذه لعبته ، كما يطيع الرجل امرأته ، فيضيع رجولته ، ويفقد منزلته .

ووقفت على دبين متجاورين ، أبيض كبير ، قد اتخذوا له فى قفصه من الجبس كهيئة الجليد ، ووجهوا مسكنه إلى الشمال حتى يظل بارداً ، لا تدخله الشمس ، فيظنه موطنه ، وموطنه هناك على حدود القطب الشمالى .. ولكنهم لم يخدعوه ، إنه ينظر فيرى قوماً لا يشبهون قومه ، إذ لم تستعبدهم فئة قليلة منهم ولم تظلمهم باسم العدل ، ولم تحرمهم باسم حرية الكلام ، ولم تملك دونهم كل شيء وتستمتع بكل متعة ، بشريعة ماركس ودين لينين !

ودب أسمر صغير ...

يدور الأبيض النهار كله ، غضبان أسِفاً لا يهدأ ولا يستريح فلا يصل إلى شيء ، ويلعب الأسمر بكرة من الحديد ، ويراوغ الحارس ، ويضحك النظارة ، كلاهما سجين ولكن هذا ينسى سجنه ، وذاك يذكره أبداً ، كالناس منهم من يذكر المصيبة ، ويدنيها من خياله ، فيراها أبداً أمامه ، ومنهم من (يخادع نفسه فى الحقائق) فتصفو له الحياة .

والأبيض على جمال شكله ونعومة جلده ، ثقيل سمج ، والأسمر على قبحه لطيف خفيف ، لأن الجمال جمال الروح ، لا جمال الجسد ، فرب حسناء تنبو عنها القلوب ، وغير ذات حسن تهواها الأفئدة ، وتعلق بها العيون .

ووقفت على القردة ، وهى تعيش العمر كله مجلسَ لهو ولعب تقلد كما يقلد (قردة) البشر ، ولكنها تقلد فيما ينفعها وهؤلاء يقلدون فيما يؤذيهم ، وعلى الببغاء وهى تردد ما يقال بلا فهم ، كهؤلاء الذين يعيدون علينا كل ما يقول الغربيون ، وعلى الحيات وهنّ ناعمات اللمس ، ناقعات السم ، كالصديق المخادع ، يُجامِلك ليخاتلك . ويسقيك من قوله العسل وفيه من قبح مقصده الحنظل

ومررت على فئات الحيوانات على اختلاف أشكالها وألوانها ، ومطاعمها ومشاربها ، من كل سائر أو سابح أو طائر ، مما يحارب بمخلبه ونابه ، كالشجاع الأبى ، وما يدافع بسمّه كالنمام المفسد ، وما يقاتل بثقل جسمه كثقال الروح من الناس والقنفذ وسلاحه شوكه كسليط اللسان ، بذىء المنطق ، والسلحفاة وسلاحها درعها كالمنطوى على نفسه ، المعتصم بصمته ، والطاووس وهو كالمرأة سلاحه جماله وحسن منظره ... والذى يعيش فى الماء نظيفاً مطهراً كالسمك ، والذى يغتسل فى اليوم عشر مرات كالقط ، والذى لا يطيب له العيش إلا فى الأوساخ والقاذورات كالخنزير ، يلغ فيها

(١) الخيلة : الخيلاء والكبر .

كما بلغ المنتاب فى أعراض الناس ، وينغمس ٢ نقاس الفاسق فى حمأة الفجور ، وسبع البحر وهو أعلاها صوتاً ، وأضخمها زئيراً وأقلها غناء ، وأضعفها قوة ، كالجبان الفخور ، والجاهل المدعى ، وما ينحط على فريسته من علٍ كالنسر ، وما يأخذها قوة واقتداراً فى وضح النهار كالأسد ، وما يسلك إليها المسالك المظلمة ، ويتسلل صامتاً خلال الحجارة وفى أسول الجدران كالحيات ، وعلى الغزلان والعصافير ، وهى أبهى الحيوان فلا يقف عليها أحد لكثرتها ويقفون على حيوان قبيح لأنه نادر ، لأن قيمة الشىء بندرته لا بمنفعته ، ولولا ذلك لما كان الهواء أرخص شىء ، والألماس أغلاه .

... حتى مررت على طائفة من الحمير محشورة فى زريبة ، طائفة من حمير الشارع تأكل وتهز آذانها ، تتلفت ترقب العصا تنهال عليها كما يرقب الذليل المهانة ، ويعجب إن افتقدها ، فلما لم ترها وعرفت أنها فى أمان منها بطرت بطر حديث النعمة ، وترفعت ترفع اللئيم يسود فى غفلة من الدهر ، ونسيت ما كانت فيه كما ينسى غنىّ الحرب عهد الفقر ، ويأنف من السيارة الفورد وكان لا يجد عربة الكارّو ، ويدخل أولاده المدارس الأجنبية وكان لا يعرف طريق الكتاب

يستخشن الخزّ حين يلبسه   وكان يبرى بظفره القلم

وفكرتُ هذه الحمير وقدرتُ ، فانتهى بها التفكير إلى أنها لم تعد حميراً وإنما صارت بشراً ، أليس فى البشر (حمير) ، فلماذا لا يكون فى الحمير بشر ؟

ومرّ حمار مسكين ، يجر عربة مثقلة بالحشيش لطعام حيوانات الحديقة فنظر إليها ، فلما رآها ... أجفل وارتدّ ...

ما هذا ؟ حمير مثله ؟ إنه يفهم أن يكون فى الحديقة نسور وصقور ، وفهود ونمور ، وزرافات ونعام ، وأن يكون فيها حمير الوحش لأنها غريبة المنظر ، بعيدة الوطن ، نادرة الوجود ، أما أن يكون فيها حمير مثله ، تسمّن وتخدم ولا تعمل ، فهذا ما لا يفهمه أبداً .

ووقف ونهق لها يحيّيها ، فترفعت عنه ، وتأبّت من تطاوله عليها ، ومدّت شفاهها الرقيقة ، وضمت آذانها القصيرة ، ولوحت بأذنابها استنكاراً واستكباراً ، ونسيت أصلها وتجاهلت أخاها ، كما يفعل الموظف الصغير الذى يعيش بمال الأمة إذا وقف عليه أحد أبناء الأمة يسأل حاجة ، أنه يظنه يسأل صدقة ، أو يطلب إحساناً ، أو الشرطى حين يلقى البائع السيار من أهل بلده ، وترجمان المستشار حين كان يقابل واحداً من بنى قومه ...

فلما رأى ذلك منها ، بصق ومشى يلعن الحظ الذى جعل (الحمير ...) سادة ، وأقام (الناس) لهم خدما وخولا وبكى على خلائق الجنس (الحمارى) ، لقد ضاعت تلك الخلائق ، وهبطنا حتى صرنا مثل بنى آدم ، لا نعرف أقدار أنفسنا ولا أقدار إخواننا.

***

وجعلت أعاود الحديقة ، وأكرر زيارتها ، فأرى هذه الحمير محشورة فى الزريبة ، تأكل وتشرب ، وتتعجب لماذا لا يقف عليها أحد ! إنها لا تلعب لعب القردة ، ولا تغنى غناء البلابل ، ولا تملك هيبة السبع ، ولا ضخامة الفيل ، ولكنّ لها فنّها وجمالها ، وما الفرق بينها وبينها ، ألا يقرأ الناس لأدعياء الرمزية ولصناع الأدب ، ولصوص البيان ، كما يقرأون لأئمة البلاغة ، وملوك الكلام ؟ ولكن هذه (الفلسفة) لم تقنع أحداً فظل الناس معرضين عنها ، لا يحفلون بها . وماذا يبتغون منها ؟ وهل قلّت الحمير حتى ما تشاهد إلا بقرش صاغ ؟ إن الحمار يبقى حماراً ولو وضعته فى القصور ، وأركبته السيارات ، وكسوته الحرير ، وأطعمته الفستق المقشر ...

حتى كان أمس فرأيت القائمين على الحديقة ، قد عزموا على إخراج هذه الحمير منها ، كى يوفروا على أنفسهم ثمن طعامها ، وينتفعوا بجهدها وعملها ، ويجملوا الحديقة بإبعادها عنها ...

فقلت أن هذه آخرة كل (حمار) يتجاوز قدره ، وينسى أصله ، فليعتبر سائر (الحمير) !

***

ياسيدات وياسادة . العفو إذا لم أجد ما أحدثكم به إلا أحاديث الوحوش والحمير ، فالحديث عنها ، أكثر فائدة ، وأسلم عاقبة من أحاديث الناس .

والسلام عليكم ورحمة الله .

على الطنطاوى

القفجاق

للأستاذ أحمد رمزى بك

« له براثن تحت إبطيه وصدر وجنبات عليها أطواق وأتراس ملونة ، ليس لأقشة الترك والتتر أن تحاكيها ... ...

جحيم داء

القفجاق أو القبجاق أو الخفشاق أو القبجق كلمات وردت فى الكتب العربية القديمة ويعادلها بالأفرنجية Kaptehabr Riftchabr

هل القفجاق اسم مكان أطلق على السكان ، أم هم قبيل من الناس أطلق اسمهم على الأراضى التى سكنوها فعرف المكان باسمهم ؟

هذا بحث يقصر عنه الجدل .

فن قائل إن القفجاق فى لغة الأتراك القدماء هو الصعيد المتسع أو الفيافى من الأرض الواسعة المنبسطة أى S!éppes حيث يكثر المرعى وينبت الزرع ، ثم يأتى الجدب فتصبح الأرض كالصحراء ولذلك كثر ورود اسم صحارى القفجاق فى كتب العرب

وعليه فسكان هذه البقاع هم أهل السهول والبوادى مثلهم كأهل البادية من العرب الذين وصفهم ابن خلدون فى مقدمته بقوله « لما اختصوا به من نكد العيش وشظف الأحوال وسوء المواطن » وعليه فالقفجاق قوم يعشقون الحرية ولا يخضعون لنظام ، اختلفوا عن غيرهم من سلالات الترك الذين هم أهل جماعة وسلطان ونظام ، الذين تجمع بينهم وحدة التعاون والخضوع للرآسة وما يمليه قانون الجماعة ، فإذا تركنا أهل الشرق فى آسيا جانباً يقول علماء الأجناس إن أهل فنلندة وبعض سكان اسكندنافيا والبشكاريين وفريق من سكان القوقاز المستوطنين هم أهل حضارة وباقى سكان هذه المناطق من أهل هجرة العناصر التركية الأولى فى فجر التاريخ : قفجاق .

ويقول الباحثون إن العناصر التركية البدوية اتجهت فى هجراتها إلى ناحيتين : صحراء جوبى فى الصين وصحراء القفجاق فى الروسيا ، وأقام ملوك الصين سداً لحماية بلادهم . أما فى أوروبا فقد عبر القفجاق نهر الفولجا « أتل » ودخلوا السهول واتجهوا إلى الغرب فوصلوا إلى الدانوب جنوباً وإلى المجر وسهول بولونيا فأينما اتجهت جماعاتهم ووصلت سنابك خيلهم فهى امتداد للقفجاق

ويطلق اسم القفجاق على القبائل التى هاجرت ودخلت بلاد الرمال بألوانها المختلفة . الرمال السوداء والحمراء والبيضاء وغيرها قرة ، قزل ، آق ، باثان قوم ، وهى هذه السهول الواقعة بين الفولجا وجبال الكربات . وفى مسالك الأبصار عن بلاد القفجاق إنها « كانت قبل استيلاء التتار عليها معمورة الجوانب وأنها لا تزال فى بقايا تلك العمارة والغراس » وعدد ما فيها من أنواع المزروعات والفواكه وأسماء بعضها بلغة القفجاق .



وفى أسماء البلاد ما يشير إلى ألوان الرمال التى مرّ ذكرها ، فنها مدينة آقجا كرمان الواردة بمسالك الأبصار وصبح الأعشى وهى Akrerman الحالية بقرب مدينة أوديسا الروسية وفى مقابلها سارى كرمان ، وفى القرم آق مشهد وآق شيار (سباستبول) وآق بلغات الترك معناه : أبيض ؛ ولو فتحت خريطة مفصّلة لأراضى الروسيا الجنوبية لهالك ما تجد من أسماء القرى والمحطات التى لا تزال تحمل أسماء مشتقة من لغة القفجاق سكان البلاد .

ويحاول بعض المؤلفين أن يجمع بين القازاق والقفجاق فيقول بأن القيرغيز وهم أهل بداوة إلى اليوم يطلقون قازاق على التائه أو الشارد ، والقفجاق فى لغتهم هم الذين انقطعوا عن قومهم وانفصلوا وشردوا .

فالقازاق أو القفجاق هم الذين تركوا العشيرة الكبرى وحكم عليهم بالغربة ، فإذا استقروا فى جهة ما وشغلوا أنفسهم بفلاحة الأرض : استفلحوا وظهرت عليهم مزايا الشعوب المستقرة ومظاهر ضعفها ، ولكن إذا جاءت سنوات القحط وأجدبت الأرض أو أصابهم ظلم الحكام عادت إليهم غريزة الكفاح الأولى ووقفوا أمام الطبيعة وأمام الإنسان ، فإن أخطأهم التوفيق بدأوا غربة جديدة وواجهوا مصاعب الزمن وتحكم الأقدار ، وهم فى

بلاد الروسيا وقد تغيرت مذاهبهم ولغاتهم ولكن يطلقون إلى اليوم على الدواب والمحاصيل وما تحت أيديهم من منقول كلمة « مال » وعلى سكنهم كلمة « ابزبة » وهى عزبة عندنا .

وليس معنى رجل السهول والبادية أنه يأنف من سكنى المدن بل هو يفرح بحياة الاستقرار ويضع مزايا البداوة في تحسين حياته الجديدة ، فالقفجاق قوم أشداء طوال القامة أعصابهم قوية ذوو شدة ومراس على الحروب ، ولكن الأقدار لم تكن تسمح للرجل منهم بحياة الراحة فى صحاريه التى تحيط بها الأطماع ، فما إن يهاجم فى عقر دياره أو تأتى سنوات القحط حتى يبدأ الهجرة إما شارداً من عدو أو باحثاً عن الكلأ ويسير فى هذا الطريق الصعب الشاق الذى يذكرنا بتغريبة بنى هلال فيأخذ فى البكاء على الأطلال والغابات ومساقط المياه ، ولهم حوادث سجلتها الأغانى الشعبية ، ولا يزال قوزاق الدون ينشدون جماعات ذكرى هذه الهجرات ويبكون الأطلال ويرسلون التحية للأسير الغائب والابن الضائع والفتاة المسلوبة ، ولكن بلغة غير لغة آبائهم وأجدادهم ، وإن حملت أغانيهم وعبرت عن مشاعرهم تلك النغمة الحزينة التى لازمتهم من أواسط آسيا حيث مشرق الشمس ومنبع مرج الدنيا .

ولقد أخرجت المطابع العربية بمصر الكثير من الكتب والأبحاث التى عرضت لتاريخ مصر الإسلامية ، وكان من الطبيعى أن يتعرض واضعو هذه المؤلفات إلى بعض المسائل الجغرافية أو الأمور المتعلقة بشؤون الأجناس ، فكان مما رأيت أن البعض أخذ لفظ جبال القبق على أنه القفجاق ، وأن القفجاق هم سكان القوقاز بل رأيت خريطة جغرافية وضع راسمها جبال القفجاق على أراضى القوقاز ، ولما كان القبق وباب الأبواب والدربند فى البلاد الواقعة بين بحر الخزر والبحر الأسود وهى المعروفة بسكانها من الجراكسة والكرج والداغستانيين وغيرهم وهى غير صحارى القفجاق الواقعة حول شبه جزيرة القرم والممتدة من نهر الفولجا شرقاً ، رأيت أن أجمع بعض ما عثرت عليه فى الكتب العربية تأكيداً لذلك .

فقد ورد فى صبح الأعشى عند كلامه على بلاد الدشت قوله «وهى صحارى فى الشمال وتضاف إلى القبجاق بفتح القاف وسكون الباء الموحدة وفتح الجيم وألف بعدها قاف وهم جنس من الترك يسكنون هذه الصحارى أهل حل وترحال على عادة البداوة » وفى كلامه عن القفجاق قال «هذه المملكة متسعة الجوانب طولا وعرضاً كبيرة الصحراء قليلة المدن وبها عالم كثير لا يدخل تحت حصر »

ونقل عن صاحب التعريف : أن صاحبها فى الأيام الناصرية (يعنى الناصر محمد بن قلاوون) هو السلطان أزبك خان ، وما زال بين ملوك هذه المملكة وبين ملوكنا اتحاد قديم وصدق وداد من أول الدولة الظاهرية بيبرس وإلى آخر الوقت . وفى مادة تركستان عدّد ياقوت أصناف الترك وذكر القفجاق تحت اسم خفشاق ، وفى المسعودى أنه كان فى البلغار من قديم الزمن دار إسلام ومستقر إيمان نقل ذلك صاحب المسالك وأضاف « أما الآن فقد تبدلوا بإيمانهم كفراً وهم يدارون سلطان القفجاق لعظيم سلطانه وأخذه بخناقهم لقربهم منه .

ويقرر الأصطخرى أن لغة البلغار والخزر تفترق عن لغة الترك ، وأن لهجات القيرغيز والقبجاق تركية محضة وهذا يتفق مع أبحاث العلماء الأوروبيين الذين وصلوا ما بين القيرغيز والقبجاق كما قلنا .

ويقرر الأمير شكيب أن لغة الترك الرحالة الساكنين حول نهر الأتيل وهو الفولجا ، أنقى من لغات أهل المدن وهو قول صريح فى أن لغة القفجاق كانت من أنقى لغات الترك .

ويقرر علماء العرب أن نهر أتيل هو المركب عليه مدينة سراى وهى تقع جنوبى ستالينجراد وهو ينبع فى ذيل جبل قاقونا ثم يتجه جنوباً آخذاً يغرب فى صحارى القفجاق على شمالى معادن الفضة حتى يصب فى بحر طبرستان .

وفى ياقوت عند كلامه على مدينة « كرش » بلدة صغيرة على ساحل بحر الأزرق أهلها قبجاق كفار ، ويقابلها من البر الآخر الطامان . وفى كلامه على « كفا » يقول «هى على ساحل بحر القرم وهى شرق سوداق وعليها سور من لبن ومن شمالها وشرقها صحراء القبجاق . وعنه حينما تكلم على حملات التتار « وقتلوا القبجاق فى بواديهم حتى انتهوا إلى بلغار فى نحو عام واحد » .

ومدينة « كفا » هى الميناء الذى كان أهل جنوا والبندقية ينقلون منه فتيان المماليك من أهل هذه البلاد لتسليمهم إلى ملوك مصر مدة دولتى المماليك البحرية والجراكسة ، ولقد وصل الظاهر

بيبرس إلى تسهيل هذه التجارة باتفاقه مع ميخائيل باليولوج ملك بيزانطة للترخيص بمرور السفن عبر البوسفور فى ذهابها إلى البحر الأسود وعودتها إلى مصر .

وجنى أهل جنوا والبندقية أرباحاً طائلة من هذه التجارة كما كانوا يتاجرون بالرقيق الأبيض من فتيان الشرق إلى أوروبا ، ومن نقل فتيان المجر والصقالبة وغيرهم من أوروبا إلى الشرق ، وقد عثر على سجلات بالأثمان التى كان يباع بها الرقيق ، وأن عدد المماليك الواردة من نواحى البحر الأسود لمصر كان لا يقل عن ٢٠٠٠ مملوك تضم كل سنة إلى جنود سلاطين مصر .

وليس هنا موضع بحث هذه الناحية فقد يتسع البحث ويعرض لموضوع تنظيم هذه التجارة والاتفاقات التى كانت قائمة والقواعد التى كان معمولا بها وهذا مما يخرجنا عن موضوعنا .

ولكن أهم ما يربط التاريخ المصرى بالقفجاق هو ما جاء بصبح الأعشى نقلا عن مسالك الأبصار وهو « ومنهم معظم جيش الديار المصرية من ملوكها وأمرائها وجندها ، إذ لما رغب الملك الصالح نجم الدين أيوب فى مشترى المماليك منهم ، ثم صار من مماليكه من انتهى إلى الملك والسلطنة ، فمالت الجنسية إلى الجنسية ، ووقعت الرغبة فى الاستكثار منهم حتى أصبحت مصر بهم آهلة المعالم ، محمية الجوانب فهم أنثار مواكبها وصدور مجالسها وزعماء جيوشها وعظماء أرضها » .

« وحمد الإسلام مواقفهم فى حماية الدين حتى إنهم جاهدوا فى الله أهليهم » .

إذ يظهر أن جل المماليك الذين أطلق عليهم اسم البحرية كانوا من قبائل القفجاق مثل بيبرس وقلاوون وفارس الدين أقطاى وغيرهم فأحاطوا أنفسهم بمماليك وأمراء من جنسهم .

ويفسر النزاع الذى قام بين المعز وهو تركمانى وبين المظفر قطز وهو خوارزمى بعد ذلك وبين البحرية من جهة أخرى هو اتفاق الجنسية بين المماليك البحرية وتفاهمهم وتعاونهم وعدم وجود قوة منظمة متماسكة تقف فى سبيلهم ، ولذلك وصلوا إلى فرض إرادتهم على من نازعهم من الأجناس التركية الأخرى وبرزوا فى التاريخ .

وللمماليك البحرية موقفان : أحدهما فى المنصورة والثانى فى عين جالوت ، وفى الثانى يقول صاحب مسالك الأبصار « وكفى بالنصرة الأولى يوم عين جالوت فى كسر الملك المظفر قطز عساكر هولاكو بعد أن عجز عنهم عساكر الأقطار واستأصلوا شأفة السلطان جلال الدين محمد بن خوارزم شاه » وقتلوا عساكره مع أن الجيش المصرى بالنسبة إلى العساكر الجلالية كالنقطة فى الدائرة والله يؤيد بنصره من يشاء » .

وفى تاريخ المماليك الأتراك فترات غامضة يفسرها لنا النزاع القائم بين الأجناس المختلفة ، فالمعز أيبك التركمانى اعتمد على البحرية فى وقت ما ثم حاربهم ، وقطز وهو خوارزمى حاربهم وصالحهم ثم قتلوه ، وحاول زين الدين كتبغا أن يوجد حوله عصبية من جنسه فضاع الملك منه ، وكان بيبرس الجاشنكير من البرجية فلم يثبت له ملك ، وتمسك الأمراء ببيت قلاوون لأن الغالبية منهم وهم من جنس واحد مع أولاد المنصور قلاوون وهكذا عاش هذا البيت رمزاً للرئاسة مدة أطول من غيره .

وفى الجزء الرابع من صبح الأعشى : « أما فى زماننا فإنه منذ قام السلطان الملك الظاهر برقوق من جنس الجركس رغب فى مماليك من جنسه وأكثر من المماليك الجراكسة حتى صار منهم أكثر الأمراء والجند ، وقلت مماليك الترك من الديار المصرية حتى لم يبق منهم إلا القليل من بقاياهم وأولادهم » .

ويؤكد هذا النص ما سقناه من الحديث ، وإن بحث المشاكل التى قامت بين أمراء المماليك يجب أن يكون قائماً على النصوص وعلى الاستقراء والبحث فى كتب التراجم مع الإلمام بأجناس الترك والجركس وعصبياتهم .

فى القرن السابع الهجرى أتم جونى ابن جنجيزخان فتح بلاد المسلمين وأخضع إيران واتجهت كتائبه شمالا إلى القوقاز حيث اقتحم الدربند وباب الأبواب ، وفى الشمال التقى على نهر الدون بقبائل تركية هى القفجاق فخضعت لأول وهلة للفاتحين كأبناء عمومة وأخوة ، ولكن المعاملة القاسية التى لقيتها أقنعت غيرهما من سكان بحر الأزرق (أزوف) أن الأفضل لها وأسلم هو أن تتجه غرباً ، وكان ذلك من أسباب مطاردتهم والفتك بهم وتشريدهم لإعادة القطيع الضال إلى حكم الخان الأعظم . وترتب على هذه المطاردة أن توجه قائدان جوبى وسابوتاى بحملة إلى وادى الدنيبر فأتموا إخضاع الجزء الجنوبى من روسيا الحالية وهو المسمى بأراضى القفجاق

في هذه الأثناء أي سنة ٦٣٩ﻫ كانت إحدى قبائل القفجاق لا تجد مأوى أمامها ، فاتجهت إلى القرم بجواد صوداق حال البحر بينها فكاتبت أنس خان ملك الأولاق ليعبروا البحر إليه فراراً من جحافل التتار ، فأجابهم إلى ذلك وأنزلهم وادياً بين جبلين وكان عبورهم إليه سنة ٦٤٠ فلما أطمأن بهم المقام غدر بهم وشن الغارة عليهم فقتل منهم وسبى ، وكان من بين السبي غلامان هما بيبرس الملك الظاهر وبدر الدين بيسري الشمسي ناقل هذا الحديث ، وكان عمر بيبرس أربعة عشر عاماً فكان أن بيع في مدينة سيواس وأخذ إلى حلب وانضم في مصر إلى جماعة من جنسه القفجاق يعملون في خدمة سلطان مصر .

أما في بلاد القفجاق فاستمرت المطاردة ضد القطيع الشارد إلى أن جاء الأمر من جنجيزخان باستدعاء قائديه ، ومات الخان الأعظم فإذا حفيده على عرش أراضي القفجاق وما يستجد من الفتوحات .

والآن بعد مضي مئات السنين على هذه الحوادث ورقد الملك الظاهر في مدرسته بدمشق وزول من الوجود دول التتار وعظمة الخان ، ولكن ملايين الخلق من القفجاق والعناصر المغولية والأسيوية قد استوطنت روسيا الأوروبية منذ قديم الزمن وتركت عوائدها وتقاليدها وآثرت الحياة الفكرية والتكوين العقلي وصبغت اللغة والأناشيد ، إن هذا التأثير كان قوياً عميقاً لدرجة أكثر من أن يعترف بها الروس أو يحاول أن يشعر بها أو يسلم بها الباحثون في شؤون روسيا من أهل أوروبا الغربية لأنها تقلب المقاييس والقواعد .

ذلك لأن روسيا بأكلها خضعت لخانات المغول الذين حكموها وامتد سلطانهم إلى ما وراء غاليسيا وأتى وقت لم يبق للروس غير نوفوجورود ، ثم خضعت هي بدورها ، ولذلك يقول الدكتور رابوربورت Rapporport صاحب « تاريخ روسيا » ومؤلف كتاب « لعنة آل رومانوف » .

« موسكو وارثة المغول ، كان القيصر الوارث الروحي لأمراء المغول الذي تجرى دماؤهم في عروقه ، إن جودونوف كان مغولياً وكان القياصرة يفخرون بأنهم أصحاب عرش القفجاق » .

وفي تعليقات الأمير شكيب على ابن خلدون يقول «أما الروس فكانوا يفرقون دائماً بين القفجاق وغيرهم ، فكانوا يطلقون من أواسط القرن الثاني عشر المسيحي على جميع أصناف الترك ما عدا القفجاق سرنيكاوبوكي أي « الطرابيش السود » وهذا دليل على أنهم قدماء في تلك الأرض .

في القرن السادس الهجري وصل أحد أمراء القفجاق إلى جند من أجناد المسلمين فقال واحد منهم « رزقه الله الإسلام » فأسلم القفجاق ودخلوا الدين الحنيف . والآن في القرن العشرين نقول « هل يأتي وقت يذكرون فيه أنهم كانوا مسلمين » مرة أخرى « رزقهم الله الإسلام » .

أحمد رمزي

الأخطل والمرأة

للأستاذ مهدى السامرائى

يستلهم كثير من الشعراء والأدباء قصائدهم وأخيلتهم من شياطين مختلفة . والمرأة من هذه الشياطين التى توحى لهم بمختلف الغرر والأفكار ، ولكن أثرها فيهم يختلف من فرد لآخر كل حسب نوع تأثره بها .

والأخطل من الشعراء الذين أثرت فيهم المرأة ، ولكن أثرها فيه كان سلبياً حتى إنه وقف منها موقفاً أقرب إلى العداء منه إلى المحاباة والتلطف . فهناك كثير من الشذرات موزعة فى أنحاء ديوانه صرح الأخطل فيها بآرائه فى خلق المرأة ونفس المرأة وعقل المرأة وموقف المرأة من الشباب والشيب ، ولكنها آراء لا ترضى كثيراً من النساء والمتعلمات منهن خاصة . والحق إنه كان متحاملا عليها شديداً فى القسوة معها .

لم يكن يرى الأخطل فى المرأة إلا ألعوبة يلهو بها كيف شاء ومتى أراد ، فعندما تلعب برأسه بنت الحان وعندما تداعبه شياطينها وعند ما يأخذ السكر منه مأخذه ، هناك يتذكرها فيقصدها ليقضى منها وطراً من لذاذة ولعب حيث يقول :

ولقد شربت الخمر فى حانوتها   ولعبت بالقينات كل اللعب

فهو لا يرى فى المرأة إلا دمية لحية يقضى معها لياليه ، وإلا وسيلة من وسائل لهوه عندما يكون ناعم البال مرتاح الفكر .

فلهوت ليلة ناعم ذى لذة   كقرير عين أو كناعم بال

ويبدو أن المرأة أذاقت الأخطل مر الفعال وسقته كأس الأهوال فهو حتى فى نومه وأحلامه لا يرى منها غير الويل والثبور إذ يقول :

طرق الكرى بالغانيات وربما   طرق الكرى منهن بالأهوال

ولا يكتفى بهذا وحسب ، بل يصفها بالتلون والتبدل ويشبهها بجنية مروّعة تذيق الرجال طعم الأهوال .

فتغدّلت لتروعنا جنية   والغانيات يرينك الأهوالا

فهو من أعداء المرأة القدامى حاربها بكل قوة ، وكشف عن جانب الشر فى نفسها ولم يكن يؤمل منها غير الشر وغير الجنة ، وغير اللوعة والهول، قريبة وبعيدة ، حاضرة وغائبة ، حية أو ميتة:

فلو كان مبكي ساعة لبكيتها   ولكن شر الغانيات بديل
وكنت صحيح القلب حتى أصابنى   من اللامعات المبرقات خبول

وإنى لأعجب كثيراً من نساء العصر الأموى إن سكتن عن الأخطل وهو يعلن عليهن حرباً عواناً ويهيب بالرجال أن يبتعدوا عنهن وأن يكفوا عن وصالهن إذ هن لا يبتين لهم غير الحيلة والغواية وما هن إلا بلاء ابتلى به الرجال وغول يقض عليهم حياتهم .

وهن على أحبالهن يصدننى   وهن بلايا للرجال وغول
«وإن امرءاً لاينتهى عن غواية   إذا ما اشتهتها نفسه لجهول»

هذه الحكمة التى يقدمها الأخطل لأبناء جنسه لا ترضى المرأة فى أى عصر من العصور ولا فى أى حال من الأحوال ، إذ لا شك أنها لعنة فى الصميم من حياتها ، فلو كف الرجال عنها وانتهوا لبارت وثقلت على أهلها ولأصبحت حياتها مملة خالية من الأمل لا يمكن أن تطاق . ويكشف لنا الأخطل عن ناحية خفية من نفسية المرأة فكأنه اطلع على خفايا هذه النفس ونفذ إلى قرارها ، فعلى الرغم من بعد غور المرأة وكتمانها الشديد لدفائن قلبها لكنه استطاع أن ينفذ ببصيرته القوية إلى أعماقها وأن يستشف من وراء ظل حركة تأتيها معنى بعيداً لا يصل إليه إلا من عرف المرأة معرفة جيدة وإلا من ذاق منها مرارة العذاب والصد ، فقوله :

المهديات لمن هوين مسبة   والمحسنات لمن قلين مقالا

يدل على أنه عرف أساليبها الملتوية ، تلك الأساليب التى تستعملها مع من تحب ومع من تكره ، ويدل أيضاً على أنه قد درس هذه النفسية التى لا تريد إلا أن تبطن غير ما تظهر وتظهر غير ما تبطن .

والأخطل لا يتحرج من وصف المرأة بالمكر والخديعة إذ يظهر أنها قد لعبت به كل ملعب وأذاقته من أحابيلها وحيلها ما جعله يفرّغ ثورته المكبوتة ضدها بقوله :

ما إن رأيت كمكرهن إذا جرى   فينا ولا كحبالهن حبالا

كما أنه لا يتحرج من وصفها بالجهل ، ولكن أى جهل هذا الذى يصفها به ، إنه جهل أشد من العلم والذكاء فعلا وأقوى من السكر والثقافة تأثيراً ، إنه جهل رمى أقوى الرجال تحت أقدامها صريعاً مجندلا بسهامها النارية مفكراً بإيماءاتها الخفية :

يعددن من هفواتهن(١) إلى الصبى   سبباً يصدن به النواة طوالا

ويذهب الأخطل إلى أبعد من ذلك فى إظهار معايب المرأة الخلقية فيصفها بالمماطلة فى العهود ، وبعدم الوفاء بالوعود ، فهى مشهورة بالخلف ، معروفة بالمطل فيقول :

وإذا وعدنك نائلا أخلفنه   ووجدت عند عداتهن مطالا

وأروع من هذا المعنى فى وصفه لهذا النوع من خلف بعض النساء قوله :

إذا مطل الدين الغريم فأنها   على كل أحيان تحل ديونها

والأخطل لا ينى عن التهجم على المرأة ونعتها بسرعة التبدل وكثرة التحول فهو يقول :

يرعين عهدك ما رأينك شاهداً   وإذا مذلت يصرن عنك مذالا

فما دمت بقربها تقدم لها فروض الحب والطاعة ، وما دمت حاضراً بين يديها تطرى جمالها وتصفها بكل ما فى قاموس الجمال من أوصاف ، فهى تحبك وهى باقية على عهدك وإلا فنصيبك النسيان إن قصرت فى ذلك أو نأيت قليلا عنها .

ويلتفت الأخطل التفاتة أخرى تدلنا على مدى فى نفسه من نقمة على المرأة وحقد عليها فهو يصف غرابة تصرفها مع الرجل وشذوذ سلوكها معه ، فهى تتخاذل أمام من يظهر لها الشفقة ، وتتفانى فى حب من يمتنع عليها ويظهر لها الجفوة ، ولعل هذا يعزى لضعفها الطبيعى من جهة ولروحها الخيالية من جهة أخرى ، فالرجل الذى لا يظهر لها ضعفاً ولا يبدو أمامها متخاذلا لا شك يشعرها بقوته وسلطته ، كما أنه إذا ما ابتعد عنها ولم يقترب كثيراً منها ستبقى تنسج حول شخصه أخيلتها وتتصور فيه فتى أحلامها فيزداد حبها له ويكثر تعلقها به . والأخطل يصور لنا ذلك بقوله :

إذا احتثها الركبان كان ألذها   إلى ذى الصبى ذو ضغنها وحزونها(١)

أما رأى الأخطل فى عقل المرأة فرأى يكاد يغضب كل النساء ، والمتعلمات منهن كما قلت خاصة ، فهو لا يرى فيها غير ضعف العقل وخطل الرأى وقلة التفكير ، فالمرأة فى نظره لا تصلح للحياة العقلية ولا تصلح لإبداء الرأى السديد ولكنها حاذقة فى تسديد السهام إلى القلوب ، ماهرة فى اللعب بالمعقول عن طريق العيون :

يبرقن بالقوم حتى يختبلنهم   ورأيهن ضعيف حين يختبر

وأكثر من هذا سخرية بعقل المرأة وحطاً من قيمته ذلك الكيل العجيب الجائر الذى يزن به الأخطل عقل المرأة فهو يقول :

وإذا وزنت حلومهن إلى الصبى   رجح الصبى بحلومهن فمالا

***

يوضح لنا الأخطل ناحية أخرى من نواحى نفسية المرأة ، تلك هى موقفها من الشيب والشباب فيصور لنا فرار الغوانى من هؤلاء المساكين الذين بلغوا من العمر عتياً والذين استنزف كر السنين منهم ماء الحياة وسطر مر الأعوام فى وجوههم تجاعيد الكوارث والأحداث فهو يقول :

يا قاتل الله وصل الغانيات إذا   أيقن أنك ممن قد زها الكبر

أعرضن لما حنا قوسى موترها   وابيض بعد سواد اللمة الشعر

لا يرعوين إلى داع لحاجته   ولا لهن إلى ذى شيبة وطر

يظهر أن الأخطل كان تيّم نساء ولكنه ليس موفقاً كعمر ابن أبى ربيعة ، فهو لم يقعد عن متابعتهن وعن مضايقتهن حتى فى أيام شيخوخته حتى اضطررن آخر الأمر إلى طرده بقسوة واستهزاء فهو يخبرنا عن ذلك بقوله :

يقلن لا أنت بعل يستقاد له   ولا الشباب الذى قدفات مردود

وقول الأخطل :

هل الشباب الذى قدفات مردود   أم هل دواء يرد الشيب موجود

يحمل المرء على الرثاء لحال هذا الشيخ الذى يبكى صباه ويحن لأيام شبابه ويفتش عن ذلك الدواء الذى أعيا العلماء والأطباء إيجاده ، ويجد المرء نفسه أكثر من هذا عطفاً على الأخطل حينما يسمع قوله :

(١) الهفوة : الجهل .

(١) الحزون السيء الخلق ويقال فى الأصل للشاة السيئة الخلق .

أعرضن من شمط فى الرأس لاح به ... فهن منه إذا أبصرنه حيد
قد كن يعهدن منى مضحكا حسنا ... ومفرقاً حسرت عنه المناقيد
فهن يشدون منى بعض معرفة ... وهن بالود لا بخل ولا جود

فقوله : « وهن بالود لا بخل ولا جود » مما يبعث فى النفس الرثاء لحال ذلك المسكين الذى تقف الغوانى منه هذا الموقف الحيادى ، فهو من قلة الأهمية ومن التفاهة بحيث لا يثير فى نفوسهن حباً ولا بغضاً كما لا يثير فى قلوبهن تلك العواطف المضطربة والأحاسيس المتباينة ورجل كهذا حرى بالرثاء والعطف .

ويصف لنا الأخطل منظراً لايخلو من ظرف ودعابة مع ما فيه من مرارة ، منظر تلكم النسوة اللواتى اجتمعن بهمهمن وبهسهسن وقد علت وجوههن الكدرة وأصبن بالهم والحزن لدخول الأخطل عليهن وهو فى حالة شيخوخة وتضمر وهزال فيقول :

ورأين أنى قد علتنى كبرة ... فالوجه فيه تضمر وسهوم
وطوين ثوب بشاشة أبلينه ... فلهن منك هماهس وهموم

وأخيراً وبعد أن يئس الأخطل من وصل المرأة ، وبعد أن عجز فى هذا الميدان لا يريد إلا أن يبث الدعاية السيئة ، ويأبى إلا أن يحرض الرجال فى الابتعاد والكف عنها فيقول :

فدع الغوانى والنشيد بذكرها ... واصرف لذكر مكارم ومقال

ولكنى متأكد أنه لم يقل ذلك إلا بعد أن عجز عن جلب ودها إليه وإلا بعد أن خابت سياسته معها .

***

حاولت أن أجد الأسباب المبررة لهذا الموقف العدائى الذى يقفه الأخطل من المرأة فلم أجد سوى خبرين قد يمكن أن نستشف من ورائهما شيئاً عن ذلك العداء ، أحدهما خبره أو قصته المشهورة مع زوجة أبيه تلك التى يقول فيها :

ألم على عنبات العجوز ... وشكوتها من غيات لم
فظلت تنادى ألا ويلها ... وتلعن واللعن منها أمم

وقد كانت زوجة أبيه تناصبه العداء وتسيء معاملته وتؤثر أبناءها بالعطف والحب كما تؤثرهم بأطايب الطعام والشراب وتحرمه هو من كل ذلك ؛ فلا شك أن هذه القسوة فى المعاملة من زوجة أبيه قد أثرت فى نفسه تأثيراً بالغاً وتركت فى قلبه جروحاً لم تندمل فنقم على المرأة متمثلة فى زوجة أبيه فأراد أن ينتقم منها فصور لنا ما رأيناه فيها من مساوىء ومعايب .

والخبر الثانى الذى يفسر لنا ثورة الأخطل على المرأة هو ما رواه صاحب الأغانى فى الجزء السابع من كتابه قال : « طلق أعرابى امرأته فتزوجها الأخطل ، وكان الأخطل قد طلق امرأته قبل ذلك ، فبينا هى معه إذ ذكرت زوجها الأول فتنفست فقال الأخطل :

كلانا على هم يبيت كأنما ... بجنبيه من مس الفراش قروح
على زوجها الماضى تنوح وإننى ... على زوجتى الأخرى كذاك أنوح

من هذا الخبر يمكننا أن نستنتج أن الأخطل لم يكن موفقاً فى حياته الزوجية ، فهو لم يسعد مع زوجته الأولى ولم ينجح فى حياته معها فاضطر إلى تطليقها ، كما أنه لم يستطع أن يرضى الثانية أو يجلب ودها وحبها فينسيها زوجها الأول فهى تعيش معه بجسمها ولكنها تعيش مع مطلقها بروحها وقلبها ، ولا شك أن هذا يدلنا على أن الأخطل كان فاشلا مع المرأة ، لم يحذق ذلك الفن الصعب « فن سياسة المرأة » وربما يكون هذا الفشل الواضح فى حياته الزوجية مما جعله ينقم على المرأة نقمته المرة التى رأيناها فى شذراته السابقة والتى لا توافقه فى أكثر آرائه فيها .

(العراق) مهدى السامرائى

مؤتمر آثار الشرق

للدكتور جواد علي

قررت اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية عقد مؤتمر في مدينة دمشق في شهر أغسطس أو أوائل شهر سبتمبر من سنة ١٩٤٧ لدراسة آثار الشرق الأدنى يُدعى « مؤتمر آثار الشرق » وقد عينت اللجنة التحضيرية التي وضعت منهج المؤتمر أغراضه بما يأتي :

١ — الاهتمام بالثقافة الأثرية وتبادل الآراء العلمية والفنية .

٢ — المحافظة على تراث الشرق العربي ووضعه في الإطار اللائق به .

٣ — تقوية الصلات بين أمم الشرق ، وتذليل العقبات في سبيل تحقيق التعاون فيما بينها من الناحية الأثرية .

وقد تصفحت التقرير الذي وضعته اللجنة التحضيرية ليكون جدولاً لأعمال المؤتمر فلم أجد فيه — وآسف لذلك — أية إشارة إلى عرب ما قبل الإسلام . كما أنني لم أجد في قائمة الموضوعات العامة التي ستبحث فيها المحاضرات التي تلقى في المؤتمر أية محاضرة قد تناولت تاريخ ما يسمى « بالجاهلية » أو « العصر الجاهلي » وكل ما وجدت هو أن سلسلة المحاضرات بدأت بالعلاقات بين مصر والشرق الأدنى ، ثم تطرقت إلى العلاقات بين بابل وآشور والشرق الأدنى ، فأثر الفينيقيين في حضارة الشرق الأدنى ، فالعلاقات بين الشرق الأدنى والإغريق ، ثم انتقلت رأساً إلى موضوع أثر العقائد الدينية في حضارة الشرق القديم ، ثم إلى حظ الشرق من الحضارة الإغريقية في العصور الهلينية فيدخل في ذلك حظ مصر من تلك الحضارة ثم حظ سوريا فبابل ، ثم تنتقل السلسلة إلى مظاهر الحضارة الإسلامية في دول الشرق العربي وتلك طفرة عجيبة بالطبع ، وتنتهي بموضوع الحفائر الأثرية في ممالك الشرق العربي فموضوع ترميم الآثار .

وكنت أطمع في أن أرى للتاريخ العربي القديم المحل الأول في قائمة الموضوعات التي ستدرس في هذا المؤتمر ، إذ أن اللجنة الثقافية التي وكلت إلى اللجنة التحضيرية أمر تهيئة خطط المؤتمر هي مؤسسة من مؤسسات الجامعة العربية ، وأنها وضعت نصب عينها إحياء التراث العربي القديم وحرصت على ذلك في كل مناسبة . فالأولى بها أن تعنى بتاريخ عرب ما قبل الإسلام فتجعله الهدف الثقافي الأول نظراً إلى أن التاريخ العربي القديم يكاد يكون حتى اليوم في حكم المجهول ، ولأن الآثاريين الغربيين لم يتمكنوا من التنقيب فيه لأسباب كثيرة ، منها أن الدول العربية التي تشتمل على المناطق الآثارية ، لم تسمح لهم بالعمل ، خوفاً من النفوذ الأجنبي ومن تسرب تلك الآثار إلى الخارج ، وإن اللجنة الثقافية ستنتهز هذه الفرصة فتثير لذلك هذا الموضوع في مؤتمر الآثار لتحث الدول العربية على العناية بآثار العرب وبتاريخ العرب القديم ، ولتطلب إلى حكومات الجامعة القيام بحفريات علمية بنفقتها أو بنفقة الجمعيات العلمية الأوربية التي توافق على التنقيب بإشراف الجامعة . أو أنها ستسعى لأن تسهل لمن تخصص من أبناء دول الجامعة العربية بتاريخ العرب القديم الدخول في مناطق الآثار لدراستها والكتابة عنها والقيام بحفريات علمية فيها إن أمكن ذلك من الوجهة العلمية والمادية .

وقد قام نفر من العلماء المستشرقين في القرن التاسع عشر والقرن العشرين أمثال « هاليفي » و « أرنو » و « كلاسر » وغيرهم بزيارة مختلف أنحاء بلاد العرب المجهولة وفي ظروف حرجة فتعرضوا إلى مختلف الأخطار والمهالك فعادوا بأنباء مهمة تشير إلى وجود أماكن آثارية على جانب كبير من الأهمية . وقد نقلوا معهم بعض الألواح والأحجار المكتوبة التي عثروا عليها على سطح الأرض وهي توجد اليوم في المتاحف الآثارية الكبرى وهي تؤيد هذه النظرية وتتحدث عن حضارة عربية قديمة أصيلة .

وقد بذل هؤلاء العلماء جهوداً كبيرة حتى تمكنوا من حل رموز الحروف اليمانية القديمة المسماة بالحروف الحميرية . واستطاعوا بعد معرفتها أن يقرأوا ما هو مكتوب فنشروه ، وقد دل ما نشر حتى الآن وهو قليل بالطبع على أن الحضارة اليمانية قديمة قدر عمرها بعض العلماء بما يزيد على ألف وثلاثمائة عام قبل المسيح .

كما أنهم بحثوا في النصوص الآشورية والبابلية والمصرية وفي التوراة ، وفي النصوص السريانية واليونانية واللاتينية فكونوا من هذا البحث مقدمات لمن يريد في المستقبل الكتابة عن تاريخ عرب ما قبل الإسلام .

ولا يمكن أن يكتب للأمة العربية تاريخ قديم إلا إذا سهلت الدولة العربية للمستشرقين وللشبان العرب الذين تخصصوا بتاريخ ما قبل الإسلام الدخول في المناطق الآثارية وقاموا

أنديتنا الموسيقية

للأستاذ حسني كنعان

كانت الموسيقى قبل ربع قرن ، تصدر فى بلاد الشام عن مصر بطريق أسطوانات الحاكى ، وكان الموسيقيون لدينا يجهلون النوتة الغربية ، فيضع أحدهم الحاكى أمامه ويدير مفتاحه وينقل عنه الأغنية أو الدور أو البشرف أو الدولاب أو السماعى كما يسمعه دون تحوير أو تبديل . وكان أرباب هذه المهنة محتقرين لدينا حتى أن الأب إذا علم أن ولده قد ظهرت فيه مخايل المواهب الموسيقية تبرأ منه وأخرجه من داره ، ولبثت الحال على ذلك حتى انبثق فجر النهضة الكبرى فى بلادنا عقبَّ الحرب العالمية الأولى فتأسس أول ناد للموسيقى فى دمشق ضم الصفوة المختارة من رجالات الفن عندنا ، فيهم المحامى والطبيب والموظف والتاجر والمزارع والصحفى وغيرهم ممن كان يمنعه الحياء ومسايرة البيئة من الظهور ، وبعد أن تمرّن أعضاؤه على القطع الموسيقية الصامتة والغنائية والموشحات وسواها ، وحذقوها على أساتذة فنيين معروفين بخبرتهم الواسعة وكفاءتهم ، بدأوا بإقامة أول حفلة موسيقية على مدرج الجامعة السورية الفخم فلم يبق أحد فى دمشق ممن حضرها إلاّ وقد سرّ بما سمع وبما شهد من تنسيق وابداع وانسجام بين أعضائها الذين ظهروا على المرسح بمظهر من يبغى اعزاز هـذا الفن وإزالة ما علق فى نفوس القوم من احتقار أربابه وأشياعه ، ولا تزال ذكرى هذه الحفلة عالقة فى النفوس برغم بُعد العهد بها . وأطلق على هـذا النادى اسم « النادى الموسيقى السورى » وهو أقدم أنديتنا ، وقد قام بفضل أموال أعضائه المشتركين ، وريع حفلاته وكان رئيسه الفخرى وهو أحـد الرجال الوطنيين المعروفين ، لا يألو جهداً فى جمع الإعانات له وإقامة حفلات خاصـة لعظماء الرجال الذين يؤمون سوريا للاصطياف أو فى مناسبات خاصة ، أذكر أن المرحوم طلعت حرب باشا باعث نهضة مصر الإقتصـادية قد دعى مرة إليه ، وأقيمت له حفلة رائعة خرج منها مغتبطاً مسرورا ، وجادت يداه رحمه الله بإعانة مالية كان لها الوقع الحسن والأثر الحميد .

بقى هذا النادى محلقاً فى سماء الفن حقبة من الزمن ، إلى أن أصابه ما يصيب كل حى فى هذا الوجود من ذرور قرن الخلاف والشقاق بين أفراده . وظهر فيه داء الغرور والمنافسـة فتفرق أعضاؤه بعد اتفاق ، واختصموا بعد وئام ، وكانت عاقبة ذلك أن

بحفريات علمية باشراف تلك الدولة أو الدول العربية على أن يحفظ ما يستخرج من آثار فى متحف الدولة أو فى متحف جامعة الدول العربية مثلا. وانى أرجح فكرة اشتراك دول الجامعة كلها فى نفقات الحفر حتى لا تتسرب الآثار إلى الخارج فتنتقل إلى المتاحف الأوربية أو الأمريكية ، وأن تكوّن عمليات الحفر باشراف المتخصصين العرب .

ولما كان المؤتمر لم يعقد بعد وأن هناك متسعاً من الوقت لتدارك الحال أرجو من اللجنة الثقافيـة أن تهتم بهذه الناحية اهتماماً كبيراً بأن تجعل فى رأس المواد التى ستدرس فى المؤتمر موضوع دراسة الآثار العربية القديمة ، وأن ترجو من دول الجامعة ولا سيما اليمن والمملكة السعودية بذل العناية لخدمة التاريخ العربى القديم ، وأن تطلب من المتخصصين العرب أو المستشرقين التطوع للقيام بحفريات علمية أو دراسة الاطلال الموجودة تمهيداً للقيام بالحفر ، وأن تمنع الناس من نبش تلك الاطلال لسرقة الآثار أو هدمها لاستعمالها مادة للبناء . فالعبث بهذه الآثار عبث بتاريخ الأمة العربية الذى نريد إحياءه . وأن تقوم الجامعة بتخصيص المبالغ لإرسال المتخصصين إلى مواقع الآثار كما فعلت فى إرسال نفر من العارفين بالمخطوطات إلى سوريا ولبنان لتصوير ما هو موجود من المخطوطات .

وأن تخصص فى قائمة المحاضرات مكاناً للتاريخ العربى قبل الإسلام وأن نرجو بهذه المناسبة من الذين سيمثلون دول الجامعة فى مؤتمر الآثار توجيه أنظارهم نحو خدمة كل أثر عربى قديم ، وأن يكون لآثار العرب نفس الحظ الذى نالته الآثار القديمة الأخرى فى الأقل ، وإن كنت أطلب المزيد لأنه تاريخنا المباشر ، ولأنه يوازى الآثار الأخرى فى القدم والدرجة ، إذ أن من العار على العرب أن يتركوا متاحفهم خالية من آثارهم وهى كثيرة مطمورة فيتصور العالم أنهم أمة همجية لم يتكون لها تاريخ قبل الإسلام وانهم كانوا عالة على حضارات الأمم الأخرى أو أنهم كانوا نقلة تعوزهم قوة الإبداع والابتكار .

جواد على

من وراء السور الحديدي

جامعة عربية أم اتحاد فرنسي؟

للأستاذ عبد الهادي الشرايبي

يتحدث الرأي العام الفرنسي حكومة وشعبا ، في صحفه ومجتمعاته عن الاتحاد الفرنسي الذي أحدثه الدستور الجديد(١) وحار في كيفية تطبيقه على بلدان ما وراء البحار . كأنما يحاول بذلك أن يسدل الستار على تاريخ الاستعمار القاتم المظلم ، ليبدله بلون آخر قد يكون أشد هولا ، وأشنع عاقبة .

إن نقطة الضعف في هذا القرار هي أنه لم يحترم إرادة هذه الشعوب ، ولم يستشرها ليأخذ رأيها بالموافقة أو الرفض ، حتى إذا شرع في تطبيقه كان مبنيا على أساس متين ، واستطاع أن يؤتي ثماره المطلوبة . على أن الحكومة الفرنسية ، فيما يظهر ، كانت أعمق تفكيرا ، فلم تقدم على اتخاذ هذا القرار إلا بعد أن خبرت الرأي العام في هذه البلاد ، وخرجت مقتنعة بغرام شعوبها بالحكم الفرنسي ، وهيامها بكل ما تقدمه إليها الدولة الفرنسية ، وما «تضحي» به في سبيل سعادتها وتطورها من مال ورجال وعتاد !

أما الشعب المغربي فإنه بدوره يزداد كل يوم إيمانا بفوائد هذا « الاتحاد الفرنسي » وما سيجره إليه في مستقبل الأيام من خير ورفاهية ونعيم . خصوصاً بعد « حوادث الدار البيضاء » التي تركت ألسنة الناس تسبح بحمد الإدارة الفرنسية ، وحسن تصرفها ، وسداد موقفها ! ! فقد فتحت هذه الحوادث الأعين ، وعرفت الناس مزايا الدخول في « الاتحاد الفرنسي » عن طيب خاطر ، وأنهم سيعيشون في عهده في ظلال الأمن والطمأنينة والسعادة والسلام! إن هذا الحدث الجديد الذي يراد ربط مصيرنا به ، يتطلب منا أن نقف عنده قليلا ، وندرسه على ضوء التفكير السليم ، والمنطق الصحيح . فالشعب المغربي ، ككثير من الشعوب

(١) (الرسالة) : جاء في المادة الستين من دستور الجمهورية الفرنسية الرابعة عن الاتحاد الفرنسي مانصه : «يتكون الاتحاد الفرنسي من الجمهورية الفرنسية المشتملة على فرنسا ذاتها والمقاطعات والأراضي فيما وراء البحار من جهة ، أو من الأراضي والدول الشريكة في الاتحاد من جهة أخرى » .

انقسم النادي إلى أندية عدة ظهرت باسم «الرابطة الموسيقية» و«دار الألحان والتمثيل» و «المعهد الموسيقى » و«دار الموسيقى الوطنية » و«معهد الآداب والفنون» و«ندوة أصدقاء الفنون » بيد أن هذه الأندية جميعاً لم تؤلف فيما بينها وحدة فنية عامة ، فأعضاؤها على كثرتهم ، من الهواة الذين تخذوا الفن ألهية خاصة ، وقد سعى الكثيرون من الذين يغارون على هذا الفن ، إلى توحيد هذه الأندية فما قدر أحد منهم على ذلك ، ولذا أخذت هذه الأندية تنحل الواحد إثر الآخر بسبب الضائقة المالية ، ولم يبق منها ثابتاً قوياً إلا الأقل ، وانقلب بعضها إلى دور للعب الورق والنرد وغيرها من ألعاب المقاهي ، ولو أن أولي الأمر مدوا يد العون لهذه الأندية وساعدوها بالمال والرجال لعاشت في تقدم وازدهار ولضارعت بنهضتها أندية العالم الكبرى ، لأن مواهب رجال الفن عندنا مشهود لها بالسمو والقوة ، وقد زادت قوة في هذا العهد الاستقلالي الجديد بعد أن ذهب الأجنبي عنا لا رده الله ، ومما يسرنا اليوم أن نرى القائمين على محطة الاذاعة في دمشق قد افتتحوا مدرسة فنية لتعليم ناشئة البلاد النوتة الموسيقية على أحدث الطرق ، وإحياء موات الموسيقى القديمة والموشحات الأندلسية الرائعة ، وتعاقدت مع أساطين الفن في دمشق وحلب الذين يندر وجود مثلهم في الأقطار العربية الشقيقة ، وكل من ينبغ من طلاب هذه المدرسة يؤخذ فوراً إلى محطة الإذاعة ليذيع منها فنه ويظهر مواهبه ، وهذا مما يبعث على التنافس الحميد بين الطلاب ، ونحن نرجو أن نعيد دمشق مجد الأندلسيين الزاهر في مختلف الضروب الموسيقية والأصوات والأنغام ، والرقص المسمى رقص « السماح » وبطل هذه النهضة عندنا هو نائب دمشق السيد فخري البارودي الذي يشتغل اليوم في وضع مؤلف قيم شامل في الموسيقى العربية ، ومدير الاذاعة الفنان السيد شفيق شبيب ، والمدير العام الشاعر المعروف الأستاذ سليم الزركلي . وحبذا لو أن محطة الاذاعة فاوضت الأستاذ توفيق الصباغ نابغة « الكمان » لا في سورية وحدها بل في الشرق العربي كله ، وهو الذي عرفته مصر في المؤتمر الموسيقى الذي انعقد في عهد جلالة الملك فؤاد رحمه الله . وكان جلالته معجباً بمواهب الأستاذ ، فالأمم لا تنهض إلا إذا قدرت نابغيها حق قدرهم وأحلتهم المنازل اللائقة بهم .

دمشق — **صبحي كنعان**

الإسلامية العربية التي أريد لها أن تسمى « شعوب فرنسا ما وراء البحار » هو الآن في مفترق الطريق . وأمامه : أن يختار الانضمام إلى جامعة دوله العربية ، أو الاندماج في « الاتحاد الفرنسي » وشعوب فرنسا ما وراء البحار .

أما جامعة الدول العربية فتربطنا بها ، أو تربطها بنا ، روابط متينة راسخة الاعراق والأصول ، روابط كونتها مختلف العوامل النفسية ، والتاريخية ، والجغرافية ، على ممر العصور والأحقاب وجمعتنا بها عوامل لا انفصام لها ، ولا يمكن أن تعمل فيها يد الدهر ، مهما كانت قاسية : فالدين واحد ، وهو الذي جمع الهندي والمغربي والصيني واليوغوسلافي في صعيد واحد ، وهو الذي وجههم جميعاً إلى قبلة واحدة ، ووحدهم في عقيدة واحدة . والتاريخ قد جمعنا في البأســاء والسراء ، فتنعمنا بأيام عزه وازدهاره ، كما تحملنا آلامه واقتسمنا مرائره وشدائده .

أما الوضع الجغرافي فإنما هو سلسلة واحدة متصلة الحلقات أبدعتها يد الإله متماسكة البناء . ممتدة من ضفاف البحر الأحمر إلى شواطىء المحيط الأطلسي ، وهي وضعية اقتصادية وسياسية ممتازة قلما ظفرت بها أمة من أمم الأرض .

أما العوامل النفسية التي كونها القرآن ، ومتنت عراها تعاليم الإسلام ، وصهرتها حوادث الأيام ، فاننا نلمس آثارها في كل يوم ، ونشاهد نتائجها عند كل حادث . فوقائع فلسطين ، ومعارك الهند الصيني والهند الهولاندية ، تدمي قلوب المغاربة ، كحوادث المغرب ، والدار البيضاء ، عند شعوب الشرق الأدنى والأقصى . وقد نشأ عن هذه العوامل الكثيرة المختلفة ، عوامل سياسية ربطت مصير الأمم العربية بعضها ببعض ، وجعلت سعادة البعض منها متوقفة على سعادة الكل ، بحيث لا يطمئن لاحداها خاطر ، ولا يقر لها قرار ، مهما نالت من أسباب السيادة والعزة ، إذا كان البعض الآخر لا يزال أنينه يتردد صداه في أنحاء المعمورة ، تحت وطأة الاستعمار الثقيلة .

هذه طائفة من الأسباب التي تربطنا بجامعة الأمم العربية ، وتجعل مصيرنا مرتبطاً بمصير أخواتنا الشقيقات ، بلاد الشرق العزيزة ، فلنلق الآن نظرة أخرى على ما يمكن أن يربطنا بالاتحاد الفرنسي من أسباب وما يمكن أن يجمعنا به من علائق ومصالح .

أما صلاتنا بهذا الاتحاد ، أو بالأحرى ، بالدولة المبتكرة له ، فتبتديء منذ نيف وثلاثين سنة . وإن نظرة عجلى على هذه الفترة من تاريخنا القوى كافية لبيان ماهية هذا الاتحاد ، وشرح الأسس التي يراد بناؤه عليها . فهي فترة مهولة ، مليئة بالنار والدم والحديد ، وبمعارك وحروب ، وسجون ومناف ، وأنواع من الارهاق والعسف ، لم يشهد لها التاريخ مثيلا حتى في العصور التي تسمى « مظلمة » !

هذه نظرة قصيرة على كلا الاتجاهين ، وعلى الطريقين المفتوحين أمامنا . فما الذي يختاره الشعب المغربي من ذلك : سبيل « الجامعة العربية » أم سبيل « الاتحاد الفرنسي » الجديد ؟

لقد تفضل جلالة مولانا الملك ، ترجمان الأمة الصـادق ، ولسانها الناطق ، فأجاب عن هذا السؤال الذي يختلج في صدر كل مغربي ، وقلب كل عربي ، في تصريحه الأخير لرجال الصحافة ، قبيل مغادرته لمدينة طنجة . قال جلالة الملك المحبوب :

« ... ومن جهة أخرى ، فإن المغرب يحرص أشد الحرص على تمتين صلات الود مع جميع البلاد التي حاربت من أجل الحرية ، ولا تزال تواصل الكفاح في سبيل نجاح قضيتها . ان المغرب ليأمل بكل ما أوتي من قوة ، أن ينال حقوقه كاملة . ومن الواضح الجلي أن المغرب بلد عربي ، مرتبط مع بقية بلاد الشرق العربي بروابط قوية متينة ، وإنه يرغب في أن تتقوى هذه الروابط يوما بعد يوم ، خصوصاً منذ أن أصبحت « الجامعة العربية » مؤسسة تلعب دوراً هاما في السياسة العالمية . وإننا لمقتنعون بأن الصلات الثقافية ستساهم بقسط وافر في تحقيق هذا الاتحاد . وهذه هي الأسباب التي تحدو بنا إلى إنشاء مؤسسات للتعليم العالي لإنارة عقول الشعب المغربي ، تكون برامجها مستمدة من برامج التعليم في جامعات القاهرة والشام ولبنان والعراق .

إن همنا الأكبر منذ اعتلائنا العرش المغربي هو أن نمنح رعايانا نعمة التمتع بالحقوق الديموقراطية التي يصبون إليها . وإن أملنا لقوي في الحصول على هدفنا الأسمى الذي سنواصل السعي لإدراكه »

هذه تصريحات جلالة الملك المفدى لرجال الصحافة الأجنبية . وهي كما ترى – قد حددت الاتجاه ، وكانت القول الفصل في هذه المسألة التي أثارت مخاوف وشكوكا ، سرعان ما انقشعت وتبخرت في مهاب الرياح . فما على شعبنا العزيز ، إلا أن يقتفي الطريق التي اختطها له جلالة العاهل المعظم ، والرائد الخبير ، ويسير على النهج الذي سنه له . واضح المعالم ، موفق الخطى .

المغرب الأقصى — عبد الهادي الشرايبي

هل الموت نتيجة لازمة للحياة؟

الحيوانات والنباتات الخالدة — الشيخوخة وأسبابها

للأستاذ نصيف المنقبادي المحامي

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

الشيخوخة وأسبابها :

رأينا فيما تقدم أول مظهر من مظاهر الشيخوخة في الحيوانات والنباتات الأولية ذات الخلية الواحدة وهو عجزها عن الانقسام إلى أن تتلاقح فتعود إلى شبابها ، وقد بينا أن هذا ناتج من تراكم بعض المواد الافرازية السامة داخل أجسامها وعدم تصريفها في الحال بأكملها إلى الخارج لنقص في تكوين الكائنات الحية وعلى الأخص نظام التغذية والتصريف .

وما يحدث للخلايا المنفردة يحدث للخلايا المجتمعة في النباتات والحيوانات العليا ومن بينها الإنسان فإن الدم في الحيوانات والسوائل المائلة له في النباتات تنقل إلى جميع الخلايا المواد الغذائية وهذه تحترق ببطء أي تتأكسد داخلها فتتولد الطاقة (القوة والحرارة) التي تستعين بها الكائنات الحية على القيام بمختلف وظائف الحياة . ونقول إجمالا إن بقايا احتراق المواد الزلالية هي التي تسم الجسم تدريجيا وتسبب الشيخوخة .

وتفصيلا لهذا الإجمال نقول إن المواد الغذائية مهما تنوعت مظاهرها تنقسم ثلاثة أقسام : المواد الهدروكربونية مثل السكر والنشاء ، والمواد الدهنية ، والمواد الزلالية مثل اللحوم والبيض والجبن والخضروات البقولية كالفول والعدس والفاصولية والبسلّى وغيرها .

فالمواد النشوية السكرية والمواد الدهنية نظراً لأنها مكونة من هدروجين وأوكسيجين وكربون تحترق داخل الجسم احتراقاً كاملا فتتحول إلى ماء لا ضرر منه وإلى غاز حامض الكربون تفرزه الرئتان بأكمله على أغلب الظن . فهذه المواد لا تلحق في الغالب ضرراً بالجسم، ولكن قد تتولد منها أثناء احتراقها التدريجي مواد كيميائية ضارة تشترك في تسميم الجسم بطريقة غير محسوسة في الفترة القصيرة التي تمكث فيها قبل أن تحرق هي أيضاً بدورها.

أما المواد الزلالية فإنها الفاعل الأصلي حقاً في ذلك التسمم التدريجي الذي يسبب الشيخوخة فالموت ، فهي أهم غذاء وفي الوقت نفسه أكبر عدو لنا لأنها مواد رباعية يدخلها الازوت إلى جانب العناصر الثلاثة سالفة الذكر ولهذا فإنه يتخلف عنها عند احتراقها في الجسم - عدا الماء وغاز حامض الكربون - مواد أخرى تشمل الازوت وهي المواد الإفرازية المعروف بعضها مثل المادة البولية والحامض البولي وأملاحه ومثل الصفراء وأحماضها وأملاحها . وهي جميعها سامة وضارة وكثير منها غير قابل للذوبان في الماء فلا يفرز بتاتاً ويتراكم داخل الخلايا وفي الأنسجة المختلفة وعلى جدران الشرايين فيصلبها وبالتالي يقلل من قدرتها على تأدية وظائفها ويؤثر تأثيراً سيئاً في الجهاز العصبي وفي جميع الأعضاء الأخرى ويضعفها فتنحط ولا تقوى على القيام بأعمال الحياة وهذه هي الشيخوخة بعينها : تصلب عام في الشرايين ، وتيبس في الأنسجة ، وقصور في وظائف الأعضاء الخ .

يضاف إلى هذا السبب في تسمم الجسم سبب آخر وهو تخمر فضلات الطعام في الأمعاء ، ونتيجة هذا التخمر هي تولد مواد عفنة سامة يمتصها الجسم مع المواد الغذائية النافعة خصوصاً وأن الامعاء عضو ملائم للامتصاص أكثر من غيره

ويضاعف أسباب الشيخوخة المتقدم بيانها فعل كريات الدم البيضاء التي كشف عن وظائفها متشنكوف فخطا بالعلوم البيولوجية والعلوم الطبية خطوات واسعة عظيمة النفع نظرياً وعملياً . فإن من يفحص تحت الميكروسكوب نقطة من دم الانسان أو أي حيوان يجد أنها مكونة من سائل شفاف تقريباً يشتمل على كريات حمراء عديدة هي التي تكسب لونه الأحمر وكريات بيضاء أقل عدداً . ومن أهم صفات الكريات البيضاء أنها تفترس بشراهة كل ما يقابلها في الجسم من الباكتيريا والميكروبات والجراثيم الحيوانية الأخرى .

غير أن فعل الكريات البيضاء غير مقصور على افتراس الميكروبات والجراثيم والمواد الغريبة عن الجسم بل إنها لا تحترم حتى زميلاتها من الخلايا الأخرى في مختلف أنسجة الجسم لأنه لا عقل لها يجعلها تميز بين النافع والضار فهي تحاول على الدوام التهام كل

مايقابلها لأنها حيوانات حقيقية مفترسة لا تقف شراهتها عند حد. غير أن الخلايا والأنسجة حين تكون فى كامل صحتها وعنفوان شبابها تصد بسهولة تلك الكريات الشاغبة الجشمة بأن تفرز عند اقترابها منها مادة كيميائية تمنعها من الاعتداء عليها، ويتم ذلك بطريقة آلية طبيعية. ولكن خلايا الجسم وأنسجته، متى أضعفتها تلك السموم التى تتراكم فى الجسم تدريجياً على النحو المتقدم بيانه، لا تقوى على الكريات البيضاء وتضعف مقاومتها لها فتنخر الكريات البيضاء فى جميع الأنســجة كالعضلات والغدد والأعصاب والمخ فتزيد الجسم هبوطاً بعد أن تكون تلك السموم قد أنهكته، وتجتاز تلك الكريات البيضاء الشرايين الرفيعة الشعرية وتتكدس فى جميع أنحاء الجسم وتتكون منها أنسجة جامدة وحتى جذور الشعر لا تسلم من اعتدائها فتسبب الشيب ساعها الله

والذى يراه البيولوجيون (علماء الحياة) أنه متى اهتدى العلماء فى المستقبل إلى وسيلة لتطهير الأمعاء والدم تطهيراً تاماً أولا بأول عقب كل أكلة دون المساس بعمليات التغذى المختلفة أمكن التغلب على الشيخوخة فتطول حياة الإنسان إلى مائتين أو ثلثمائة سنة أو أكثر. وقد تكون الفيتامينات الجديدة والمطهرات المدهشة التى اكتشفت أخيراً كالســلفيناميد والبانيسيلين مقدمة لذلك الاكتشاف العظيم الذى يصبو إليه الناس من قديم الزمان. وقد يستنبطون عقاقير تنشط بعض الغدد الصماء المعروفة أو غدداً جديدة يكشفون عنها فيما بعد فى مجاهل الجسم فتفرز هرمونات من شأنها تطهير القناة الهضمية كلها والدم والأنسجة تطهيراً تاماً مستمراً من تلك السموم مع تصريفها بأكلها فى الحال إلى الخارج أولا فأولا

ولكن تبقى عقبة كؤود لا أرى وجهاً للتغلب عليها وهى وضع الكبد ونظام صرف افرازه. فإن البول الذى تفرزه الكليتان يجتمع فى المثانة ويصرف إلى الخارج رأساً. أما الصفراء التى تفرزها الكبد فإنها لسوء حظ الإنسان والحيوانات لا تنصرف إلى خارج الجسم مباشرة بل تصب مع شديد الأسف فى الأمعاء وتبقى فيها فترة من الزمن قبل أن تصل إلى الخارج عن طريق المستقيم، بل إن الأمعاء مملوءة على الدوام بالصفراء التى تفرزها الكبد باستمرار فتمتص (أى الامعاء) كميات منها (أى من الصفراء) وهى مادة سامة ضارة كل الضرر بالجسم [1]، ولولا ذلك لكان هناك أمل أن يصل العلم يوماً من الأيام إلى قهر الموت نفسه ومنعه منعاً باتاً، وذلك أمر لا يراه العلماء مستحيلا من الوجهة النظرية بدليل الحيوانات والنباتات الأولية ذات الخلية الواحدة الخالدة التى تقدم لنا الكلام عليها. وقد رأينا كيف أن البيولوجيين عالجوا الشيخوخة التى تطرأ عليها عقب الانقسامات المتكررة وأعادوا إليها شبابها ونشاطها الانقسامى الذى يضمن لها الخلود. والذى نقصده بالخلود هنا هو أن تبقى حية لا تموت إلى أن تمسى الأرض غير صالحة للحياة بفعل العوامل الطبيعية بعد عدة ملايين من السنين على ما يقدرون

غريزة الموت:

ويتوقع متشنكوف أنه متى تغلب العلم على الشيخوخة وباقى الأمراض وعاش الانسان حياة طويلة لا تقل عن المائتين أو الثلثمائة من السنين عيشة سليمة من كل علة أو ضعف فانه حين يصل إلى آخر هذا العمر الطويل يشعر بحاجة إلى الراحة النهائية ويستقبل الموت بهدوء وارتياح كما يشعر المرء فى آخر النهار بالحاجة إلى النوم ويرتاح إليه. وهذا ما يسمونه بغريزة الموت، تحل فى آخر الحياة محل غريزة حب البقاء. وحين تنشأ هذه الغريزة فى البشر يكون العلم قد قهر آخر عدو للانسان وهو الموت، إذ يكون الناس قد حلوا قبل ذلك المعضلة الاجتماعية الكبرى الخاصة بتوزيع العمل وخيرات الطبيعة بين الناس توزيعاً عادلا مع تحديد النسل، وتكون الغريزة الاخلاقية قد تأصلت فى النفوس بمرور الزمن الطويل كما هو الحال فى النمل فتمتنع الجرائم والحروب وترتقى الأخلاق وتعم الفضيلة ويكون الطب قد تغلب على جميع الأمراض، بل إن الطب الوقائى سوف يمنعها قبل وقوعها فيعيش البشر فى سلام ونعيم دائمين، ذلك النعيم الذى ظلوا العصور الطويلة يحلمون به ولن يحققه لهم إلا العلم

نصيف المنقبارى

---

(١) صحيح ان الصفراء تمهد الى هضم المواد الدهنية وتطهر الامعاء إلى حد ما من جراثيم التخمر ولكن هذه فوائد لا تذكر بجانب الاضرار المهلكة التى تلحق بالجسم من امتصاصها داخل الامعاء. ولو كانت الطبيعة جادت علينا بقناة تنصرف منها الصفراء رأساً الى الخارج كالبول لتطورت الحيوانات فيما يتعلق بفسيولوجية هضم المواد الدهنية وتطهير الامعاء من جراثيم التخمر تطوراً آخر ولاسترحنا من ذلك السم القاتل

إلى طلبة التوجيهية :

شاعران في المنفى

للأستاذ أحمد محمد الحوفي

(تتمة ما نشر في العددين السابقين)

— ٣ —

شوقي أرى صوراً ، وألطف خيالا ، وأبرع معنى ، فنحن لا نجد في معاني البارودي مبتكراً مستحدثاً ، وإنما هي معان شائعة سبق بها ، وطالما كررها في شعره وهو بسرنديب .

ونزعته إلى محاكاة الأقدمين غالبة على تصوره ومعانيه ، حتى إن بعضها لا يلائم العصر الذي عاش فيه كالدعاء للمنزل بالسقيا ، وهو دعاء يلائم الصحراء حيث الجفاف وندرة الأمطار ، وبأن تهب عليه ريح الصبا ، وهي ريح كان يستطيبها أهل الحجاز لأنها تهب لطيفة من الشرق ، وطالما تغنى بها الشعراء ، ولكن ريح الشرق في مصر سموم ورمال ، ومثل تعبيره عن مصر بوادي الأراك وليس الأراك من شجرها ، وذكره شجرة الرند وليست من نباتها ، وتقديره إطراب شعره بأنه ألذ من الحداء وقد انقضى زمن الحداء ونعم الناس منذ زمن بعيد بالموسيقى والغناء ، وفي بعض معانيه ضعف مثل قوله أسيفه :

أقول له والجفن يكسو نجاده دموعاً كفض الجمان من العقد

فليس في تشبيه دموعه بحبات اللؤلؤ براعة ، لأن هذا التشبيه يستجاد من شاعر يشبه دمع محبوبته قاصداً الجمال والنفاسة ، ولكن البارودي في حال باك حزين لا يلائمه إلا تصور الدموع بأنها حارة تكوى ، أو غزيرة لا تنقطع كما صور شوقي ، على أن البكاء ليس من مفاخر الرجال . وفي خياله تناقض مثل شكواه من الوحدة وأنه لا يرى صديقاً بعد عدة أبيات من تقريره أن العائدات يعدنه ويعطفن عليه .

ولكنا نجد في صور شوقي ومعانيه ما يهز النفس ، كتصوره حال الطائر الغريب اللهفان إلى وطنه ، الظمآن إلى مائه يجرر ساقيه وذيله باحثاً عن دواء ، وكتصوره حال مصر نفته مرغمة وهي تحبه وتود سلامته ، وتأمل عودته بحال أم موسى ألقته في اليم وامقة به مسلمة أمرها وأمره لله ذي الرحمة ، ضارعة إليه أن يكلأه بعنايته ، وكطلبه من الطر أن ينزل على مصر برداً وسلاماً في نغم رتيب وإيقاع عجيب ، وكوصفه للأهرام هذا الوصف البارع .

على أن قصيدته لم تخل من تراكيب قليلة متأثرة بالتصور القديم مثل قوله للبرق :

بالله إن جبت ظلماء العباب على نجائب النور محدواً بجبرينا

يقصد بنجائب النور النور المشبه للنوق المسرعة ، وليس هذا بشيء .

ومثل قوله : « ريش الفراق لنا سهماً » وليس السهم المريش ولا غير المريش من أدوات القتال في العالم المتحضر .

— ٤ —

أجاد شوقي في اختيار المفردات وصوغ التراكيب إجادة أشاعت في القصيدة موسيقى ورنيناً ، وأجاد اختيار القافية نونا بعدها ألف لينة تلائم الحنين والألم ، وأجاد البارودي في انتقاء كلماته ، وجنح إلى الجزالة والفخامة وإن حرمت قصيدته موسيقية شوقي ، على أنه استعمل كلمات مبهمة المعنى مثل « لا يعيد ولا يبدى » .

— ٥ —

وبعد فكل من القصيدتين مرآة لنفس قائلها ، تتجلى في قصيدة البارودي صرامته وشجاعته وجنديته واعتداده بنفسه وبآبائه المماليك ، وولوعه بمحاكاة الأقدمين في أساليبهم ومعانيهم وأخيلتهم .

وتتجلى في قصيدة شوقي ثقافته التاريخية ، وحبه لمصر ، واعتزازه بماضيها المجيد ، وفخره بماضي العرب ، وتغنيه بجمال الطبيعة في مصر ، وكلفه بموسيقة أسلوبه ، وابتداع معانيه وافتنان خياله .

على أن قصيدة شوقي خير من قصيدة البارودي فيما اتفقتا فيه من أغراض ، ومتفردة ببعض أغراض ، وإذا كان شوقي قد تتلمذ للبارودي فقد بزه ، وما أحمنا للأستاذ أن يفوقه تلميذه .

أحمد محمد الحوفي

المدرس بالسعيدية الثانوية

الأدب والفن في أسبوع

حول جائزة الآداب :

أثير في أول الأمر بعض الغبار حول قرار لجنة الفحص لجائزة فؤاد الأول للآداب الذي أعلنه معالي رئيسها الأستاذ الجليل أحمد لطفي السيد باشا في حفلة توزيع الجوائز بالجامعة ، قال معاليه إن الوقت لم يتسع أمام اللجنة للمفاضلة فرأت تأجيل منح الجائزة إلى العام القادم .

وكاد يسكن ذلك الغبار لولا أن أثاره عالياً كثيفاً الأستاذ عباس محمود العقاد في مقال عنوانه « علامة الاستفهام في قرار لجنة الآداب » نشرته « أخبار اليوم » وجه فيه الأستاذ الكبير النقد إلى تصرف اللجنة ، لأنها قبلت العمل وأجابت الدعوة وهي تعلم الموعد المقرر وتعلم المهمة المطلوبة ، وتساءل : « ولماذا لم تتنح عن العمل منذ اللحظة الأولى إذا كانت قد علمت أنها لا تستطيع الوصول فيه إلى نتيجة ؟ » .

ومما قاله الأستاذ العقاد أن اللجنة تشهد على نفسها أنها لم تطلع على ثقافة وطنها اطلاعاً يكفي للفصل فيها ، وإن اللجان التي تقبل أمثال هذه المهام ينبغي أن تكون مرجعاً يستفاد منه العلم بحركة الثقافة الأدبية في بلادها ؛ ورد على اعتذار اللجنة بتنوع الموضوعات الذي يحتاج إلى وقت أوسع للموازنة والتمييز ، بأن تعدد الموضوعات هو الذي أعان لجنة العلوم على الفصل فيما عرض عليها ، فاختارت لجائزة هذا العام موضوعاً خصته بالتفضيل وتركت الباب مفتوحاً للموضوعات الأخرى في الأعوام المقبلة . ولو صنعت لجنة الآداب مثل هذا الصنيع لما كان أيسر عليها من تخصيص هذه السنة بجائزة الشعر أو بجائزة القصة أو بجائزة البحوث والدراسات وما إليها ، فيتسع وقتها للفصل والتمييز .

وخلص الأستاذ العقاد بعد ذلك وبعد عبارات « حريفة » وجهها إلى اللجنة ، وبعد أن ذكر أنه في خلال السنوات الخمس التي قررها المرسوم أصدر ثمانية عشر كتاباً جديداً ، لا تقدر اللجنة أن تسقطها من الحساب أو تهملها في ميزان الترجيح ، خلص الأستاذ بعد كل ذلك إلى « أن قرار اللجنة معناه تفسير المرسوم على معنى لا يفهم له معنى سواه : وهو أن الجائزة مشروطة في هذا التفسير بأن يعطاها صاحب الآثار الأدبية في السنوات الخمس الأخيرة ما لم يكن شخصاً يسمى عباس العقاد ... » .

وقد سمعت في بعض المجالس الأدبية تعليقات على هذا الموضوع فوجدت كثيرين يوافقون الأستاذ العقاد على صميم نقده ، وإن كان الكثيرون لا يرون رأيه في الإعلان عن إنتاجه بنفسه مع تقديرهم له وإحلاله محله اللائق به ، أما اتهامه اللجنة بالقصد إلى مجاوزته في منح الجائزة فهو من قبيل الحكم على النيات .

الشعبة الثقافية العالمية :

كانت بعض المدن الأوربية في أثناء الحرب الماضية موئل كثير من رجال الأمم التي غلبت على أمرها ، وفيهم وزراء المعارف في هذه الأمم ورؤساء الهيئات الثقافية والتعليمية ، فكان ذلك داعياً إلى التفكير في تكوين هيئة ثقافية عالية تكون شعبة من هيئة الأمم المتحدة ، وولدت هذه الفكرة في لندن سنة ١٩٤٥ وتألفت الشعبة فعلا ووسعت مدى الانضمام إليها بإباحته لمندوبي الأمم غير المشتركة في هيئة الأمم المتحدة ، وواصلت نشاطها في سان فرانسيسكو ، حتى اقتنعت هيئة الأمم بفكرتها واعتمدتها من شعبها بمقتضى المادة (٥٧) من ميثاقها . ثم انتقلت الشعبة بعد ذلك إلى باريس حيث أخذت في تنظيم أعمالها ووضع الخطط التي تكفل تأدية رسالتها .

وفي مساء الإثنين الماضي وبنادي الخريجين المصري تحدث الدكتور محمد عوض محمد بك رئيس قسم العلوم الاجتماعية بتلك الشعبة في « رسالة الشعبة الثقافية في هيئة الأمم المتحدة » فبين أغراضها التي تتلخص في تثقيف الناشئة والكبار تثقيفاً إنسانياً يرمي إلى خدمة قضية السلم العالمي ببث الأفكار الصحيحة والتقريب الثقافي بين أبناء العالم ، لا فرق في ذلك بين الشعوب

والأجناس ، فتنتفى الأفكار المخطئة ويجنب الناشئون التربية التى تحض على كراهية الشعوب الأخرى ، مما كان يؤدى إلى سوء التفاهم فالحروب .

وقال المحاضر إن هيئة الأمم إذا كانت تعالج المشاكل السياسية والاقتصادية فإن الشعبة الثقافية تريد وقاية العالم من هذه المشاكل .

ثم أفاض الدكتور عوض فى الحديث عما قامت به الشعبة فى باريس فقال إنها جعلت لكل فرع قسماً مختصاً ، فهناك قسم الصحافة والإذاعة والسينما ، وقسم التربية ، وقسم الآداب والفنون ، وقسم العلوم الاجتماعية ، وقسم العلوم الطبيعية ، وأخذ كل قسم يبحث فيما خصص له ، ومن الأمثلة التى ذكرها لنشاط هذه الأقسام وبيان عملها موضوع الأدب المقارن الذى اقترح أن يكون به قسم الآداب والفنون ، وذلك بأن يقوم الأساتذة المتمكنون فى أكثر من أدب واحد بدراسة مقارنة بين الآداب المختلفة ونشر هذه الدراسة بمختلف وسائل النشر .

ومن تلك الأمثلة ما اقترح أيضاً من إنشاء معهد دولى للدراسات المختلفة ، وعقد مؤتمرات سنوية تمثل فيها الهيئات الثقافية فى أنحاء العالم .

وقد أجاب المحاضر عن سؤال عن علاقة لجنة التعاون الثقافى فى الجامعة العربية بالشعبة الثقافية العالمية بأن الجامعة العربية هيئة سياسية والشعبة ثقافية بحتة ، وكل ما يمكن أن يكون من الصلة بينهما أن تدعى لجنة التعاون الثقافى العربية إلى مؤتمرات الشعبة الثقافية العالمية ، وتكون هذه المؤتمرات فرصة للعمل على تحقيق الأهداف الثقافية المشتركة .

الشاعر المكار :

هو الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى ، وقد وصفه بالمكر الأستاذ عباس محمود العقاد فى مناقشة دعابية دارت بينهما فى « أخبار اليوم » حول ما كان قد أعلنه الأستاذ المازنى منذ سنين من إنكار الشاعرية على نفسه وبراءته من الشعر والشعراء ، فقد خاطبه الأستاذ العقاد واصفاً ذلك بأنه « مكرة صغيرة صنعتها أنت أيها الصديق بيديك وانتظرت عاقبتها حتى الآن أربع سنوات أو خمس سنوات » وقال له : « ولعلك قدرت أن الناس لا يسمعونك تنكر الشاعرية على نفسك وتتأخر من صف إلى صف ومن رعيل إلى رعيل ، حتى يتسابقوا إليك فى الصف الثانى ، أو الصف الثالث ، أو الرابع ، ليجدوك قابعاً هناك تنتظر المطاردين والكاشفين ، فما هو إلا أن يلمحوك فى زاوية من الزوايا حتى يلقوا عليك القبض ويسلسلوك ويحملوك إلى الطليعة فى أول الصفوف . ثم يمثلوا معك دور (الشاعر على رغم أنفه) كما مثلوا دور الطبيب على رغم أنفه فى رواية موليير »

ورد الأستاذ المازنى على ذلك بإقراره إذ قال : « كل ما قاله صديقى الأستاذ العقاد صحيح ، واستثنى قوله إنى مكار وإنى شاعر »

ثم علل الأستاذ المازنى كفه عن قرض الشعر بأنه كان بطىء النظم ، ولم يكن يرضى عما يقول ، وأنه أساء الظن بصدق سريرته فيما نظم من الشعر وتوهم أن العواطف التى وصفها والتى ولدت ما أعجب عنه من آراء لم تكن صادقة وإنما كانت تقليداً لا أكثر ، وأنه كفر بالخلود وبالأدب كله « وطلع فى دماغه » أن ينكر أنه أديب

أفيكون الأستاذ المازنى قد رجع عن تجريد نفسه من الشاعرية إذ يعترف الآن بأنه شاعر ؟ وكل ما فى الأمر أنه مورط بما أقره من مكره الذى كانت نتيجته كما قال الأستاذ العقاد : « أن يعنى الناس إلى المطيبين فى ركاب المغنيات والمغنين ، ولا يصغوا إلى المازنى فى أغانيه وأناشيده ، ولا إلى المازنى فى مترجماته التى لو نظمها الخيام أو هاينى أو شكسبير عربية فصيحة لما جاوزوه فى التجويد والإتقان »

ولكن هل يستطيع الأستاذ المازنى أن يتلافى « مكرته » ويخرج من ورطته فيعود إلى قرض الشعر ؟ ما أحسبه يستطيع ، فقد اكتفى الناس منه واكتفى هو أيضاً بما بلغه من الشأن فى الكتابة ، وذلك حسب الناس وحسبه ، وهو الذى طغى على شعره ، ولولاه لكان من المحتمل أن يتلمسوه حيث يقبع هاربا ويحملوه إلى الطليعة فى أول الصفوف ليقوم بدور « الشاعر على رغم أنفه »

نواة الجيل الأولى :

خصت مجلة « الصور » الأدب بصفحة من صفحات عددها الخاص (المجتمع المصرى) كتبها الدكتور طه حسين بك تحت عنوان « بعض بيئاتنا الأدبية » ويعتبر هذا المقال – على وجازته – الفصل الأول فى تاريخ أدبنا الحديث . فهو يحدثنا عن نواة النهضة الأدبية التى نبتت فى مستهل القرن العشرين ، والتى اطرد نموها حتى أثمرت الأدب العربى الحديث الذى أصبح يعد أدبا من الآداب العالمية الكبرى

يحدثنا الدكتور طه عن البيئة الأدبية الأولى التى اتخذت لها مكاناً مختاراً فى الممر الضيق الذى يفصل بين إدارة الأزهر القديمة وبين الرواق العباسى فى مدخل الجامع الأزهر حيث كان يجلس جماعة من الأدباء الأزهريين يعرف الناس منهم فى هذا الجيل « محمود حسن الزناتى ، وأحمد حسن الزيات ، وطه حسين »

كانوا يختلفون إلى ذلك الممر قبل أن يرتفع الضحى إينتظاروا درس الأستاذ المرصفى فى الأدب ، وبعد صلاة العصر لانتظار درس الأستاذ الامام فى البلاغة وتفسير القرآن الكريم

يقول الدكتور : « وكانت هذه الجماعة تتحدث حين تلتقى بما تسمع من الأستاذين – أحدهما أو كليهما – أحاديث الاعجاب والاكبار ، وبما تسمع من الأساتذة الآخرين فى الفقه والنحو والمنطق والأصول ، أحاديث السخرية والعبث ! ثم كانت تعلق على إقبال المقبلين وانصراف المنصرفين ، وعلى ما يكون بينهم من تفاوت فى الاشكال والأزياء والسمات ، تذهب فى هذا كله مذهب النقد أو مذهب العبث والتشنيع ، لا تحفل بشىء ولا تأبه لأحد ، ولا تتحرج من لفظ ! »

واتصلت هذه البيئة ببيئة أدبية جديدة من طراز آخر ، هى « الجريدة » التى كان يديرها أستاذ الجيل احمد لطفى السيد باشا الذى كان يحدثهم عن مونتسكيو ، وروسو ، وفولتير ، وجول سيمون . وكانت « الجريدة » ملتقى الشباب من الأزهر ومن المدارس العليا ، يزخر بهم مكتب مديرها معممين ومطربشين ،

يقول الدكتور « وكذلك التقى الشباب الناشىء بعضهم ببعض فأخذت الأسوار تنهار بين العمائم والطرابيش ، والتقوا بالشباب الناضج والكهول والشيوخ من أعلام الحياة المصرية على اختلاف فروعها ، فأخذ دم جديد يدور فى جيل جديد من المصريين »

ويتقدم الزمن وتتعاقب السنون فتتخذ هذه البيئة الجديدة لنفسها نادياً آخر فى دار آل عبد الرازق التى أثرت فى الحياة العقلية المصرية أقوى أثر وأبقاه

ولا شك أن خريجى هذه البيئة فى مقدمة الذين قادوا الحركة الفكرية ووجهوا النهضة الأدبية فى صدر هذا القرن – لذلك رأينا أن نسجل هنا بعض ما تضمنه من حديثها مقالُ الدكتور طه حسين بك الذى أحسنت به « الصور » إلى المجتمع الأدبى فى عددها « المجتمع المصرى »

« العباس »

تحيـــة الامام

للأســـتاذ أنور العطار

« ألقيت فى الحفلة الكبرى التى أقامها النجف احتفالا بالوفد الثقافى السورى فى آذار (مارس) ١٩٤٧ »

سلام على النجف الأطيب   سلام على ورده الأعذب
على مهده عالم الذكريات   ودنيـــا توقد كالكوكب
وكون كآذار جمُّ العبـــير   أنيـق كنضوره الأهدب
تنشقْ فنى الترب مسك الخلود   تهادى ، وفى الجو عطر النبى
وُطف بالهدى والندى والعلاء   وبالجدث الطاهر الطيب
وسلم على العبقرى الهمام   على نبعة الخير من يعرب
وسلم على أرج الكائنات   وريحانة الشرق والمغرب
هنا الحسب السمح عم الفضاء   وأسنت به مقلة الغيهب
سرى العبق الطهر ينشى الصرود   ويورق نديان فى السبسب
يموج من النور فى موكب   ويندى من الطيب فى موكب
يطوف على الناس مثل الصباح   إذا افتر عن مبسم أشنب
ويختال فى الكون مثل الربيع   يرن بفينـــانه المعشب
وعرج على موئل النعميات   على الأريحى النجيد الأبى
أخى الحزم والعزم والمكرمات   أخى النائل الأطول الأرحب
وهم بالبيان السنى الشهى   وأعذبْ بمنهـــله أعذب
وزد مورداً حافلا بالخلود   وما شئت من ممتع مطرب

* * *

على ! ويا ســحر هذا النداء   وأعجبْ بروعتـــه أعجب
تحن إليك القلوب اللهاف   حنين الصغار لصدر الأب
إذا أغطش الليل كنت الشعاع   وكنت رجاء الغد الأصعب
وكنت الحنان ورمز الندى   وكنت المعين على النصب
ولم لا وأنت رفيق النبى   وأنت شذا الطهر من يثرب
وأنت قريش العلى والبطاح   وأنت مدى السؤل والمأرب

* * *

فيا ساكنى النجف المستحب   سلام القريب إلى الأقرب
سلام الشآم كشدو الهزار   على حافة الجدول المذهب
بنى الجود والخلق المستطاب   من الأفرخ الزغب والشيب
رفاق الكفاح رعاة الذمار   حماة الممالك والشعب
صبغتم طريق البقاء الحبيب   بهذا الدم الثائر المغضب
فكنتم ضحايا النضال الطويل   مشيتم على حده المرهب
وطهرتم الوطن المستـــضام   من الصل ينفث والعقرب
نقمتم على الظلم والظالمين   وثرتم على الغاصب الأغلب
فيا ثورة النجف اليعربى   غضبت وحقك أن تغضبى
يسيل الفرات بها صاخباً   ونهر العلى إن يثر يصخب
ولولاك ما كان فجر الخلاص   ولم يجل عن دارنا الأجنبى
سأذكر ما عشت هذا الجهاد   وأفنى بملهمـــه الملهب
وأحيا لهذا الحمى نغمة   وقلبىَ إما يهمْ يطرب
فيا طير هذا الغناء الرقيق   فإن شئت ترتيله فاندب
ويا جفن هذا سبيل البكاء   فإن رمت ترويحة فاسكب
ويا قلب هذا قريض الخلود   فإما استباك العلى فاكتب
ويا نفس من ورده فانهلى   ويا فكر من مائه فاشرب

* * *

شباب الحياة شباب الجهاد   يشق المتـــاعب بالمنكب
مضى يستهين بغلب الصعاب   ويدفع بالنـــاب والمخلب
تدرع بالحزم يوم الهيـــاج   وأزرى برهقـــه المتعب
وما الحق إلا الطماح الصراح   بغير الرجولة لم يطلب
إذا ما توانيت عنه استبيح   وإن تنغ عن صونه يسلب
فشـــيد منار العلى بالدماء   وبالمثـــل الرائع المعجب

(دمشق)   أنور العطار

البريد الأدبي

أبو هريرة والصعيدي :

كان الأستاذ عبد المتعال الصعيدي نشر – في العدد ٧١٥ من الرسالة الغراء – كلمة حول كتابنا « أبو هريرة » فأجبناه بما نشرته الرسالة – في عددها ٧١٨ – جنحنا في جوابه إلى الدعة لا نسأله عن شيء مما غالط به أو غلط فيه كالعصمة التي حمل بها حملته على غير روية ، فان العصمة من الذنوب – التي تثبتها الأمامية للأنبياء وأوصيائهم – شيء ، والعصمة من الجرح المسقط لعدالة المجروح – التي يثبتها أهل السنة لكل صحابي شيء آخر

واليوم وافانا العدد ٧٢١ من الرسالة فاذا به – يعترف بالغلط في نسبة وضع الحديث إلى محمد العثماني المذكور فقال : والحقيقة أنه من وضع غيره لا من وضعه .

ثم ضعف سنده بما لا تتنزه عن مثله أسانيد كثير من الصحاح ، على أنه لم يستند في تضعيفه إلى أئمة الجرح والتعديل وإنما أرسل تضعيفه كسائر مرسلاته .

ونحن نستند في تصحيحه إلى أمينين مسلمي الامامة في الجرح والتعديل عند أهل السنة ، حجتين عندهم في السنن لا يدافعان ، الحاكم في المستدرك ، والذهبي في تلخيصه (ص ٤٨ من الجزء الرابع) .

والأستاذ لا يجهل دأب الذهبي في تعقب الحاكم وافراطه بتضعيف كثير من صحاح المستدرك واسقاط بعضها بأقل شبهة ، لكنه مع ذلك لم يتعقبه في هذا الحديث بل صرح بصحته عن أبي هريرة . فقال : صحيح منكر المتن فإن رقية ماتت وقت بدر وأبو هريرة أسلم وقت خيبر ا هـ.

وما كان الذهبي ولا الحاكم مع حسن ظنهما بأبي هريرة ليثبتا عنه هذا الباطل لو وجدا إلى حمله على غيره سبيلا ، لكنها الأمانة لا يحمل وزرها الا من (كان ظلوماً جهولا) .

وقد حاول الحاكم صرف الباطل عن أبي هريرة – كما جاء في كلمة الأستاذ – لكنه لم يفلح .

نقل الأستاذ أن كلا من الامام السيوطي والشيخ الخولي وصاحب المنار والشيخ الجزائري طعنوا في بعض أحاديث المستدرك ونحن نقول : انهم طعنوا في البعض من حديثه ، لكنهم لم يذكروا هذا الحديث بسوء ، ولو كان ضعيفاً لنبهوا إلى ضعفه ، ولو كان من الأحاديث الموضوعة لنظمه السيوطي وغيره في سلك الموضوعات ، ما علمنا أحداً من أئمة الحديث فعل ذلك .

أما ما نقله الأستاذ عن الفاضل الججموني – من انقطاع الحديث لأن المطلب بن عبد الله لا يعرف له سماع عن أبي هريرة – ففيه نظر ، وقد قيل ان الذي لم يدرك أبا هريرة انما هو المطلب ابن عبد الله بن المطلب بن حنطب ، وراوي الحديث إنما هو المطلب بن عبد الله بن حنطب ، فهما – على الأصح – اثنان روى الأول منهما عن أنس وجابر وابن عمر وعائشة وأبي هريرة ، وروى عنه الأوزاعي وعمرو بن أبي عمر ، وقد وثقه أبو زرعة والدارقطني وحديثه ثابت في السنن الأربعة وغيرها .

وهب أنا صرفنا النظر عن هذا الحديث ولوازمه الباطلة فما رأي الأستاذ وسائر المنصفين فيما يلزم أبا هريرة من أحاديثه الثابتة عنه في الصحيحين ؟ وحسبهم منها ما اشتمل عليه كتابنا « أبو هريرة » في جميع فصوله فليممن به الأستاذ ، وليدع توجيهه الجديد جانباً وليسلك جادة العلماء المنصفين (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) والذي دعانا إلى هذا إنما هو الذود عن السنة المقدسة والغيرة على الإسلام والمسلمين بتمحيص الحق المتصل بحياتنا العلمية والعقلية اتصالا مباشراً ، ان أريد إلا الاصلاح ما استطعت

صور – لبنان — عبد الحسين شرف الدين

إلى الأستاذ على الطنطاوي :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فانني من المعجبين بك وبما تكتبه ، وبهذا الأسلوب السهل السلس الذي يجري من النفس مجرى الطبع والذوق السليم . هـذا أما من حيث

مناقشتك للآراء فهي مناقشة القاضي العدل الذي ينظر إلى كل شيء فاحصاً مدققاً ثم يناقش على أساس راسخ وعلم غزير .

وإن حميتك العربية وفضائل الإسلام التي تتدفق في عروقك والخير الذي ترجوه للمجتمع الإسلامي من الاتحاد هو الذي دفعك لنقد هذا الكتاب (في مقالة بالعدد ٧٢٢ بعنوان إلى علماء الشيعة) بالرغم من أن هذا الكتاب هو طبعة ثانية لكتاب صدر منذ ستة عشر عاماً . فإن مجرد وجوده دون هذا التعليق كان دليلا على أن النزاع سيظل قائماً والجدل سوف لا ينتهي إلى حد . ولهذا فقد أحسنت يا سيدي صنعاً . وإن حرصك يا سيدي على الوحدة والتئام شمل المسلمين في هذا الظرف العصيب لما هو جدير بالتقدير ولكن قل من يعرف المواقف وما تقتضيه في هذا الزمن .

وإن رغبتك يا سيدي في نبذ الجدل بين السنيين والشيعيين لما يقتضيه الموقف في هذه الظروف الحاضرة ، ولكن هنالك في التاريخ الإسلامي سابقة هي أن العالم الإسلامي اتحد في ظرف عصيب على يد شخصية بارزة ألا وهو البطل صلاح الدين الأيوبي — طيب الله ثراه — اجتمع العالم الإسلامي كله من سنيين وشيعيين لمواجهة خطر داهم ، ألا وهو الخطر الصليبي . وهذا الخطر يهدد الأمم العربية اليوم ولكن بصورة أخرى . فالقوى الاستعمارية تريد أن تكيف العالم كما تريد . وتريد أن تجعل فلسطين العربية طعما خالصاً لليهود ! لا لشيء سوى أن الدول الكبرى تريد أن تهيء لليهود وطناً في أرض مقدسة ليست لليهود وحدهم وتأبى أن تستقل فلسطين العربية دماً ولحماً .

لقد أحسنت يا مولاي بقرع جرس الخطر وبالنداء للوحدة والتكتل . فعسى أن يفيق القوم من سباتهم العميق ويهبوا ليحملوا السلاح للدفاع عن فلسطين وليستعيدوا مجدهم التالد الخالد .

ويا حبذا لو ذكر لنا أستاذنا العلامة المحقق أحمد رمزي بك طرفاً من حياة صلاح الدين وتوحيده شمل العالم الإسلامي ومقاومته للصليبيين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

شفيق أحمد عبد القادر
كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

كلمة صغيرة :

كان بودي أن تكون كلمتي في الرد على الأستاذ طاهر الجبلاوي هي الأخيرة ، لولا شبهة صغيرة أتى بها في رده الأخير ، رأيت أن أوضحها إظهاراً للحق — فقد أراد الأستاذ أن يثبت صحة ترجمته Consciousness of soul بالوعي الروحي بأن الوعي هنا بمعنى الضمير استشهاداً بالآية الكريمة «والله أعلم بما يوعون» أي يضمرون ... وليسمح لي الأستاذ أن أقدم أمامه هاتين الحقيقتين الواضحتين :

١ — الوعي ليس مصدر « يوعى » أي يضمر بل هو مصدر «وعى» وهو في الأساليب الحديثة يأتي بمعنى الانتباه مثل الوعي القومي — ولا يأتي بمعنى الضمير ، وفي ذلك مراعاة لمعناه الأصيل في اللغة العربية

٢ — ليس في الفصل كله جملة واحدة تؤيد رأي الأستاذ في أن الروح يجب أن يدرك ضميرها الأشياء ، والفصل كله يؤيد رأيي في أن الخطوة الأولى لمعرفة الحقائق هي معرفة الروح ، فليتفضل الأستاذ بمراجعته مرة ثانية قبل أن يتهمني بالتزييف والتحريف ! ! .

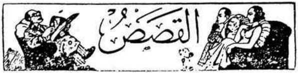
وقد ختم الأستاذ كلمته بإبهام مبهم لوح فيه بأخطاء في ترجمتي لسادهانا غير موجودة ، وهذا الكلام المبهم مما لا يرد عليه ؛ لأنه يحتاج إلى دليل يؤيده .

هذه كلمة صغيرة في هذا الموضوع . وأؤمل أن تكون الأخيرة .

أسيوط محمد محمد علي

إلى أصدقاء أحمد محرم :

المرجو من أصدقاء ومقدري فضل شاعر العربية المغفور له أحمد محرم أن يرسلوا مشكورين ما قد يكون في حوزتهم من آثاره الأدبية (شعراً ونثراً) — ما نشر منها بالمجلات والجرائد وما لم ينشر إلى الأستاذ محمود أحمد محرم بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول .



الاختيار الذى كسر قلبي

معربة عن الانجليزية

بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدى

تتمة ما نشر فى العدد الماضى

وفى الحق كان هذا الخطاب أول ماشعرت به من عوامل الارتياح منذ أشهر طوال . فلقد أخبرته فيه بما يحيط مركزى من حرج يدعو إلى اليأس . خبرته بمبلغ حبى ابنتى حباً يحول بينى وبين اللحاق به ولكننى اعترفت له بأننى كنت شديدة الحاقة فى تصرفى الذى أدى بعد الواحد منا عن الآخر ، وقلت إننى أود على الأقل أن أتمزى فى شقائى بمعرفتى أحواله ولقد كنت أعلم على كل حال أنه قد انتظرنى وأنه لم يستبدل بى أحدا . وطلبت منه أن يبعث برده على خطابى إلى شباك البريد .

قضيت أسبوعين فى عذاب متواصل تتنابنى على التوالى عوامل الخوف والشعور بالجريمة واليأس والأمل ، إذ كنت أذهب كل يوم إلى دار البريد لأسأل سؤالى المألوف : « هل جاءتنى خطابات » ؟ وأتلقى الجواب المألوف أيضاً : « لا ، يا سيدتى » .

وأخيراً جاء الرد ، فكان أشبه بالمعجزة أن أقرأ العنوان وكلمات « تيد » مكتوبة بخطه الذى ألفته زماناً طويلا فكان من أعز الأشياء على نفسى . وكأنما كانت تلك الكلمات صوتاً خارجاً من القبر وقد استهلها بقوله « عزيزة نفسى » وقد قال لى فى ذلك الخطاب إن شيئاً واحداً كان ثابتاً فى حياته التى اكتنفها الاضطراب ، وأنه كان متنقلا من مكان إلى مكان وكان خطابى يتبعه حيثما ذهب . وأنه قد عاد الآن إلى لندن ، وسيغادرها بعد قليل ليبحر مرة أخرى إلى الشرق الأقصى . وقد رجانى أن أذهب إليه ، وأن لا أكلف نفسى أكثر من حمل طفلتى معى .

وتبادلنا المراسلات شهراً كاملا محاولين أن نصل إلى حل لمشكلتنا . وقد خيل إلى أننى بمشورى عليه مرة أخرى أستطيع أن أتحمل حظى فى الحياة . ولكننى لم ألبث أن أدركت أن هذا الوضع الذى أريد وضع الأمور فيه غير عادل ولا مقبول ، فهناك فى لندن يقيم الرجل الذى أشتاق لقاءه وهو ينتظرنى ويرجونى أن أذهب إليه . فلم أضيع الحياة الوحيدة الصالحة لى احتفاظاً بعقد زواج مجرد من الحب ؟

ومع ذلك لم أكن لأستطيع التفكير فى هجر ابنتى « سو » وكنت أعلم أننى إذا حاولت أخذها من « رونى » فإنه يقدم على كل مستحيل للحيلولة دون ذلك .

وهناك إلى جانب ذلك شعورى الشخصى بروح العدل والإنصاف لا يسمح لى بأن آخذ منه الشىء الوحيد الذى يعيش من أجله فى هذا العالم وما كانت القسوة لتبلغ بى إلى حد أن آخذ « تيد » ولا أترك « لرونى » شيئاً . كذلك لم أكن لأسمح لنفسى بأن أعرض « سو » للحياة فى مركز حربى ببلاد نائية ، حتى لو استطعت أن أخرج بها من هذه البلاد .

احتفظت بخطابات « تيد » وكنت أكرر قراءتها المرة بعد الأخرى باحثة عن حل لهذا الإشكال ، وكنت فى كل يوم أعتزم أن أحرق هذه الخطابات ، ولكنها كانت جميلة جداً ، وكان حرقها فى نظرى أشبه بالتخلص من الحب الذى كنت متعطشة إليه ، بعد أن أصبح بين يدى . فكان احتفاظى بهذه الخطابات هو الغلطة الكبيرة الثالثة التى ارتكبتها . فقد كنت أدرك جيداً الخطر من وجودها عندى ، وكنت فى خوف دائم من أن يعثر « رونى » عليها ولو أنها كانت محفوظة فى صندوق القفل .

وفى يوم من الأيام انحنيت فوق الصندوق أبحث عن شىء من القصاصات لأجمل منها ملابس لعرائس « سو » وكانت « سو » إلى جانبى فمالت إلى نصفها داخل الصندوق وقالت بلهجة الطفولة العذبة « ورق » .

ولم تسترع هذه الكلمة نظرى بادى الأمر ، ولكن بعد بضع دقائق كانت « سو » جالسة على الأرض تعبث ببعض الأوراق عند ما دخل رونى الغرفة .

فأغلقت الصندوق مسرعة وقد دق قلبى دقاته العنيفة وهو يقول :

— لقد عدت لأخبرك أنني لن أحضر الغداء اليوم هنا .

ثم حمل « سو » بين يديه وقبلها ، وهو يقول :

— كيف حال ابنتي الصغيرة . أترسمين ؟ ألا فدعى أباك يرى ما عملت »

وعلى حين فجأة وفى ثورة جنونية عرفت ما كان فى يدها ، فصحت فى حماقة بالغة :

— لا . . أريد أن أقول . . إنهـا لا شىء . . هاتها لى »

فنظر رونى إلى نظرة غريبة .. ثم أنزل « سو » إلى الأرض فاستمرت ترقص وهى متعلقة بساقيه ، ونظر إلى الخطاب الذى أخذه من ابنته ، فحاولت أن أختطفه من يده ولـكنه أمسك بيدى ورفع يدى على رأسى ، وكان لون وجهينا قد استحال إلى صفرة الموت وثقل تنفسنا ، وقال فى إيجاز :

— لقد اشتبهت فى شىء من هـذا القبيل منذ عهد بعيد ثم ترك يدى وبدأ يقرأ الخطاب ، فانحنيت على الصـندوق وخبأت وجهى بكفى واندفعت فى بكاء عنيف ، علماً بأن ما وجدت كان الخاتمـة والبداية . فقد كان علمه بما بينى وبين « تيد » عذاباً لى وراحة فى وقت واحد . فمعناه مواجهة الحقيقة ثم الاستقرار على أمر

ثم قال وقد تجهم وجهه وتقلصت شفتاه واشتعلت عيناه بنار الجرح الذى أصابه :

— حسـناً ، ولعل الخير فى أن تذهبى ، ألا ترين ذلك ؟

فضممت « سو » بين ساعدى وضغطت جسمها الصـغير الدافئ إلى صدرى ، وقلت فى لهجة منقطعة بالتنهد :

— لا أستطيع أن أتركها وأبتعد عنها .

فعانقتنى الطفلة وهى تقول بلهجة الطفولة المرحة :

— لا تبكى يا أمى .. لا تبكى .. وانظرى «سو» فهى تحبك لا تبكى ...

فانتزع رونى الطفلة منى وقال فى لهجة مخيفة :

— لا بد من أن تفارقيها ، فإنك لن تأخذيها معك ولن تبقى هنا معها ... إذهبى إليه إن كنت تمنين به فوق ما تمنين بأملك ! إنك تحبينه ، فلن تبقى هنا تخادعيننى !

فقلت متوسلة :

— أرجوك يا رونى ... أرجوك أن تفهم !

فأجاب فى ثبات :

— إنى فاهم ... لقد كنت تحبينه دائماً ... ولم تحبينى قط ! فاذهبى إليه ... ولـكنك لن تأخذى « سو » أبداً .

فقلت باكية : إن لى فيها النصف . فقال :

— إنها لن تعرف لها أباً غيرى ... وسأقف معك أمام أية محكمة فى البـلاد يا « بام » وسأبرهن على أنك أم غير صالحة لـكفالة ابنتك . وسأعمل الآن كل شىء لإبعادها عنك .

فتدلت شفة « سو » السفلى واضطربت وانحدرت الدموع على وجنتيها الصغيرتين . فأمسك رونى بها ولـكنها مدت إلى يديها الصغيرتين وهى تبكى وتقول :

— لا تبكى يا أمى ... أرجوك لا تبكى ...

وإنى لأستيقظ فى بعض الليالى فأتخيلها أمامى وأسمع كلماتها الأخيرة لى : « لا تبـكى يا أمى ! » ولعل هذا هو السبب الذى لا يعيننى على البكاء .

حمل « رونى » ابنته إلى الغرفة الثانية ، وسمعته يكلمها فى رقة وهو يلفها فى معطفها المصنوع من الصوف الأحمر ويلبسها قبعتها الجميلة ويداعبها ويسألها هل تحبه وتحب الخروج معه .

ثم سمعتها تتحدث فرحة مبتهجة ... والحق أنهما سيعيشان معاً عيشة سعيدة ، فلقد كان أباً صالحاً جداً وكانت الطفلة تحبه حباً مفرطاً .. فهما يستطيعان أن يعيشا من غيرى .

ووضع « رونى » « سو » فى الردهة ثم عاد فوقف بباب غرفتى وقال :

— سأعطيك ورقة طلاقك ولـكنى سآخذ « سو » معى اليوم . فاسحبى من البنك أى مبلغ من المال شئت ، وخذى أى شىء آخر تريدينه .

أى شىء آخر أريده ؟ وأى شىء يمكن أن أريده غير ابنتى ؟

فشعرت بأن قلبى قد جمد فى صدرى وقلت باكية :

— ألا تريد حتى أن أبقى هنا !

ولقد كنت حتى تلك اللحظة مستعدة للبقاء معه إذا هو قبل ذلك . فهز رأسه وقال :

— لم يعد ذلك الآن بممكن ، فمن الخير « لسو » أن تعيش بعيدة عن أم لا تستطيع حتى أن تخلص لزوجها .

وسمعت صوت خطاهما وهما يجتازان الردهة ، ثم سمعت صوت إغـلاق الباب وصوت تحرك السيارة ، ثم وثبت إلى النافذة كمن أصيب بفاجعة مفاجئة وأزحت الستار ، فرأيت وجه ابنتى الصغير ملتصقاً بالزجاج الخلفى وقد تفرطح أنفها وهى ترسل لى بيدها قبلة

فى الهواء قبل أن يبتعدا عن نظرى .

فاستولى الخبل على نفسى وأسرعت إلى آلة التليفون وطلبت لندن ثم بدأت أعد حقائبى ، وكان كل ما أخذته مما يتصل بابنتى التى لا أحب شيئاً فى الوجود حبى لهـا حذاء من أحذيتها الصغيرة وصورتها الفوتوغرافية ... وتركت صورتى الفوتوغرافيـة وقائمة مشوشة بما يلزمها من طعام ، وحمام ، ودواء إذا أصابها برد .

وكتبت فى آخر القائمة بخط مضطرب : « وغطها فى الليل »

وكان من عادة الطفلة أن تتقلب ليـلا فيجىء رأسها مكان رجليها وتنفض الغطاء عن جسمها ، وكان نوم « رونى » عميقاً ، فليساعده الله فى أن يعمل لها كل ما كنت أعمله أنا .

ودق جرس التليفون دقاً شديداً وأخيراً سمعت صوت « تيد » المحبوب الذى كدت أنساه ، فلمـا سمع بأننى قد أصبحت آخر الأمر له ابتهج وصاح .

— لا تشحنى شيئاً فى القطار ، إنك ستركبين الطائرة ياحبيبتى ؟ وسأرسل لك المـال اللازم بالتلغراف ... آه ... يا بام ... سأعد الدقائق عداً ! .

فلأسرع ... نعم فلأسرع - بمغادرة البيت ولأنهب الطرقات فى إحدى سيارات الأجرة . . ولأمض لا ألتفت ورائى إلى لعب ابنتى المبعثرة فى أرض الغرفة . .

ولأنظر إلى الأمام . . إلى تيـد ! . . تيد : الذى يستطيع حبه أن يعيدنى « الفتاة » التى كنت من قبل . . جميلة محبوبة ! آه . . ياتيد . . تيد . . . إنك ستنسينى كل هـذه السنوات . . . ستنسينيها نسياناً تاماً فلا يصحبنى شىء منها ! .

ولقد حاول « تيد » فعـلا أن ينسينى أيام المتاعب . ومن حسن الحظ أننا أبحرنا فى الحال ، فالبحر ، والبلاد الجديدة وليالى شهر العسل فى المناطق الاستوائية كل ذلك كان حلماً ساحراً . وشفاهه العاطشـة وساعداه القويتان الضاغطان ، واجتماعنا معاً ناسيين العالم كله ، وهو يرينى هـذه الأراضى الجديدة التى يقيم فيها . . هذه هى السعادة ، هذه هى الجنة . :

ولكن الطلاق من «رونى» والزواج فى اطمئنان من الرجل الذى أحببته ... لم يكن كله ليمحو عن رأسى ذكرى هاتين السـنتين اللتين عشتهما أماً لطفلة صغيرة ... لا أدرى أين هى الآن ومع من هى ، وماذا هى فاعلة ؟ وهل لا تزال تصلى الصلاة التى علمتها ؟ وهل أوصيت فى القائمة التى تركتها بأن تستحم مرتين فى اليوم ؟ ومن الذى يتولى أمر استحمامها بينما يكون « رونى » فى عمله بعيداً عن البيت ؟ أهى خادمة ؟ إن قلبى ليرتجف رعباً عندما أتصور إحدى الخادمات تزجر ابنتى فى خشونة وعنف . . .

والآن تكاد « سو » تبلغ السنة الثالثة من عمرها . . أو هى تقرب من السنة الرابعة . . . ومن الذى يغطيها فى الليل ؟

وغالباً ما أستيقظ فى الليل على حين فجأة وقد خيل إلى أننى سمعت تنفسها المرتجف الذى يدلنى على أنها تشعر بقسوة البرد .

ومازلت أتوهم مثل هذه الأوهام ، وإن كانت ابنتى قد أشرفت الآن على السنة السادسة من عمرها ... فهى على أهبة الذهاب إلى المدرســة .. على أن « تيد » الذى كان يشعر باضطراب نفسى ، لم يكن ليبتعد عنى كثيراً فهو دائماً إلى جانبى يحاول أن يواسينى ويهدىء من روعى .. وعلى الرغم من أننى ، من أجله أحاول أن أنسى ، فإننى لا أستطيع النسيان ولا تزال سعادتنا يظللها شبح آلامى وعذاب نفسى .

ليس فى الوجود شىء كامل . وليس فيهــا شىء كاف لإقناع النفس . فكما كنت من قبل أشتاق إلى « تيد » أنا الآن أشتاق إلى « سو » ، وكما كان رأسى يداعبه الأمل فى أن أجتمع « بتيد » ها هو ذا رأسى اليوم يداعبه الأمل فى أن أجتمع يوما بابنتى ... وحيثما ذهبنا ، وبخاصة الآن بعد أن عدنا إلى انجلترا ، تصفحت وجوه الأطفال ، أبحث عن طفلة براقة العينين ، راقصة الساقين ، يداعب الهواء حلقات شعرها الجميل . وقد تكون فى مكان يبعد أميالا عديدة عن مقامى ، وقد تكون على مقربة منى تمر بى فى الطريق .

لقد كتب علىّ أن لا أعرف شيئاً من أمرها ، ولعلى لن أعرف منه شـيئاً أبداً ... وكل ما أستطيع أن أفعله هو أن أصلى من أجلها وأن أدعو الله « أن يحفظها ... وأن يغطيها فى الليل »

عبد الحميد حمدى

مطبعة الرسالة